الباب الثالث

عزام مفكرًا

الفصل الأول:

عزام مفكــرًا
مناقشة عدد من القضايا الفكرية
أولاهـا عــزام، اهتمامـًا كبيرًا
أولاً: قضية الأبجدية العربية والحروف اللاتينية

الفصل الثانى:

عزام: وفكرة الدين وما يجب عـلى المسلمــين،
وموقفه من القضايا العربية،والعرب ووحدتهم،
ومن هـو العـربى؟ عـلل الأمـــة المصـرية
موقـف المسلمـين من أوروبـا والحضارة الغربية

الفصل الأول

عـزام مفكـرًا

أولاً: عزام : الخط وقضية الأبجدية

أتناول فى هذا الفصل عددًا من القضايا الفكرية احتلت جانبًا كبيرًا من الحركة الثقافية والفكرية فى العالم العربى والإسلامى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى، وكان لعبد الوهاب عزام إسهاماته الفاعلة فى تناولها لأهميتها فى ميدان الحياة الفكرية للمسلمين، ولصلتها المباشرة بالدين الإسلامى واللغة العربية، ولما أبداه علماء الدين الإسلامى والمفكرون المسلمون، وخصوم الدين من آراء مختلفة، بل ومتباينة.

ورغم أن الحديث عن عيوب الأبجدية العربية، قد بدأ منذ القرون الإسلامية الأولى التى ربما يكون حمزه الأصفهانى[1] أول من تحدث فى مثالبها وأوجه النقص فيها ـ كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين فى تعضيده لفكرة عبد العزيز فهمى باشا الخاصة بضرورة تغيير الأبجدية العربية، التى قدمها إلى مجمع فؤاد الأول بالقاهرة (مجمع اللغة العربية حاليًا).

إلا أن الهجمة الضارية على تلك الأبجدية التى بدأت فى أقطار إسلامية غير عربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لأسباب ودوافع شتى، قد حفزت عبد الوهاب إلى التصدى لمناقشتها موضوعيًا، وأولاها اهتمامًا كبيرًا.

كانت أذربيجان وتركيا من أوائل الدول التى تخلت عن الأبجدية العربية، واستبدلت بالعربية اللاتينية التى كتبت بالحرف الروسى فى أذربيجان، وبالحروف اللاتينية فى تركيا.

---

(١) الثقافة، عدد ٣٠٦، فى ٧ نوفمبر ١٩٤٤.

وكما يذكر التاريخ فإن رضا شاه الكبير مؤسس الأسرة البهلوية فى إيران، كان معجبًا أشد الإعجاب بمصطفى كمال فى تركيا، يسير على نهجه فى برامجه التى هدف منها تحديث إيران، رغم الخطوات السابقة فى هذا المجال منذ الحركة (الثورة) الدستورية سنة ١٩٠٦م، لذا نرى رضا شاه بعد زيارته لتركيا، ومشاهدة ما اتخذه مصطفى كمال من خطوات، يأمر بعد عودته إلى إيران، باتخاذ الخطوات اللازمة لإصلاح الأبجدية، وأن تتم دراسة جيدة لما اتخذه الآخرون فى هذه السبيل، وأن تستوعب التجارب السابقة فى هذا الشأن، وكلف على أصغر حكمت وزير المعارف بهذا الأمر، وأقر مجمع اللغة الفارسية فى مادته الثانية من قانونه الأساسى، النظر فى إصلاح الخط، واعتبر ذلك جزءًا من واجبه الأساسى[1].

فظهرت العديد من الدراسات والمؤلفات التى تناولت المشكلة باللغة الفارسية. وقد أوضحت تلك الدراسات، أن أول شخص تحدث عن نواقص الأبجدية العربية فى رسالة كتبت بالفارسية، هو ميرزا فتحعلى آخوند زاده (آخوندوف كما عرف فى الروسية). الذى كان يعيش فى بلاد القوقاز تحت السيطرة الروسية. وفى أذربيجان تحديدًا.

كان آخوند زاده على معرفة جيدة باللغات الشرقية، وإحاطة بالثقافة العالمية. وقد كتب رسالة باللغة الفارسية ضمنها أبجديته المقترحة التى تقوم على أبجدية غير منقوطة وتكتب بحروف متصلة وانتهى من تأليف رسالته تلك فى سبتمبر ١٨٥٧م. الموافق ١٢٧٤هـ .ق. تحدث فى هذه الرسالة عن رأيه فى الأبجدية العربية، وقال: إن ما تضمنته تلك الأبجدية من مثالب ونواقص ومشكلات، تعد واحدة من أكبر أسباب الجهل والتخلف الذى أصاب العالم الإسلامى. فدور

---

(١) يحيى أرين بور ازصبا تانيما، جـ٣ـ من ص ٣٣ حتى ٥٣، وازنيماتا روكارما، تهران ١٣٧٤هـ ض ط، ص٣٣، أسس هذا المجمع عام١٣١٤ش، على يد محمد على فروغى رئيس وزراء إيران آنذاك، وتحت إشرافه، وضم فى بداية تأسيسه أربعة وعشرين عضوا.

الأبجدية أساس فى رقى الشعوب والأمم وتقدمها، وانتهى فى تلك الرسالة إلى ضرورة تغيير الخط العربى، وأوضح سبل القضاء على مثالب تلك الأبجدية ومشكلاتها، كما عدّد محاسن أبجديته المقترحة.[1]

بدأ الخطوات الفعلية لنشر تلك الفكرة، فسافر إلى استانبول فى عام ١٨٦٣م الموافق ١٢٨٠هـ.ق لعرض أبجديته المقترحة والدفاع عنها، موّل رحلته الأمير ميخائيل نيقولا فيتش ابن القيصر الروسى الذى كان يحكم القوقاز نائبًا عن والده، وحمل معه رسالة إلى السفير الروسى فى بلاط الدولة العثمانية، طالبًا بذل كل جهد ممكن لمعاونة آخوند زاده، لتحقيق الهدف الذى أرسل إلى أولياء الأمر فى الدولة العثمانية، وتعضيده بكل السبل الممكنة. قدم آخوند زاده رسالته التى تقع فى عشرين صفحة إلى الصدر الأعظم العثمانى فؤاد باشا عبر المترجم الروسى.

استقبله ولاة الأمر فى الدولة العثمانية، ليس بوصفه كاتبًا أو عالماً، بل ممثلاً رفيع المقام فى البلاط الروسى، ورافقه الصدر الأعظم بنفسه إلى "المؤتمر العلمى، أو الجمعية العلمية العثمانية"، حيث عرض آخوند زاده رسالته، وقدّم أبجديته الجديدة. إلا أن آخوند زاده لم يحظ سوى بتكريم كبار رجالات الدولة، وحسن استقبال علماء الدين الذين حضروا هذا المحفل العلمى، ولكنهم جميعًا رفضوا مشروعه المقترح، ورأوا فيه عيوب الخط الأول نفسها، ومع هذا وتعويضًا عن رفضهم لمشروعه، منحوه النشان المجيدى.

وناقش المجمع العلمى فى جلسة ثانية فى السادس من أغسطس ١٨٦٣م المشروع مرة أخرى ولم يكن آخوند زاده حاضرًا تلك الجلسة، وقرر المجمع أن الأبجدية القديمة فى حاجة إلى الإصلاح، وأن ما أثاره آخوند زاده من إصلاحات؛ مفيدة وفعّالة إلا أنها تحمل ذات الإشكالات التى للأبجدية القديمة

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٨

سواء فى العملية التعليمية أو فى الطباعة، كما أن تغيير الأبجدية التى استخدمتها الشعوب الإسلامية منذ زمن بعيد، ليس أمرًا يسيرًا، وأن تلك التغيرات ستؤدى إلى محو التراث وتسليم الكتب الإسلامية القديمة إلى يد النسيان ـ حسب تعبيرهم ـ وبناءً على هذا فإن تنفيذ هذا الأمر مبدأ غير ميّسر.

وكان رد فعل آخوند زاده على تعليقات العلماء الأتراك وآرائهم أكثر شططًا. فقد أعلن أنه يجب إلغاء الأبجدية الإسلامية، واقتلاعها من جذورها تمامًا، وأن يحل محلها الخط اللاتينى بأصوله ومناهجه؛ أى أن تكتب الأبجدية من الشمال إلى اليمين، وأن تكتب الصوامت جانب الصوائت، وأن يلغى التنقيط تمامًا.

وهكذا لم تنجح سفرة آخوند زاده فى تحقيق ما هدف إليه، فعاد إلى القوقاز ليعاود العمل من جديد. وقدم مقترحات جديدة، فأرسل رسالته التى ضمنها مشروعه الجديد للخط المقترح، مع رسالتين أخريين بخطه وتوقيعه إلى وزير العلوم فى بلاط ناصر الدين شاه ملك فارس (إيران) فى العصر القاجارى، وكان ذلك فى عام ١٨٦٨م/١٢٨٥هـ.

كتب آخوند زاده رسالته تلك بحروف مفردة، وكتبها من اليمين إلى الشمال مخافة رد فعل علماء الدين فى إيران، وكان دورهم آنذاك كبيرًا. ومع هذا لم يلق اقتراحه قبولاً فى إيران.وكتب علماء الدين إليه، بأن من الأفضل لآخوند زاده أن يكتب ما كتب لولاة الدولة العثمانية.أما نحن الإيرانيين فلسنا فى حاجة أصلًا إلى مبدأ تغيير الأبجدية، فلدينا خطوطًا ثلاثة: النستعليق والشكستة (المكسور) وخط النسخ، وهى جيمعًا تعلو على سائر خطوط أمم الأرض جيمعًا. ولن نترك خطوطنا، ولن نستخدم مطلقًا الخط الذى اقترحه آخوند زاده أو ميرزا ملكوم خان.

ومع هذا لم ييأس آخوند زاده، فأرسل رسالته الثانية إلى عالى باشا الصدر الأعظم، كما كتب رسالة أخرى إلى سعاوى باشا أحد العلماء الكبار فى الدولة العثمانية، منتقدًا الخط العربى، ومع هذا باء مسعاه بالفشل.

وبعد سلسلة من التجارب والفشل المتتالى، تخلى فى نهاية الأمر عن فكرة إصلاح الخط العربى، وأعلن فى محاولته الرابعة عن خط جديد للأمم الإسلامية، وقد وضع هذا الاقتراح الجديد على أساس من الأبجدية الروسية، المكونة من أربعة وعشرين حرفًا صامتة، وعشرة حروف صوتية، وأضاف ثمانية حروف لأداء الأصوات والمخارج الخاصة باللغة العربية، بحيث تستطيع جميع الأمم الإسلامية؛ من عرب وعجم وترك وتاجيك، أن توضح مقاصدها دون مشقة أو تعب[1] "فقد بلغت حروف الأبجدية بذلك اثنين وأربعين حرفًا".

ولإيمان آخوند زاده بصحة الطريق التى سلكها، ولاعتقاده بضرورة تحقيق ما صمم عليه، لم يعر ما تعرض له من انتقادات وما أدركه من فشل أى اهتمام. وكتب رسائل إلى أصدقائه ـ ميرزا ملكوم خان، على خان، اعتضاد السلطنة، جلال الدين ميرزا، مانكجى الكاتب الهندى، وكاظم بيك ـ وكلهم من أعلام الثقافة والسياسة آنذاك، تحدث فيها إليهم عن نقص الأبجدية العربية وما يعتريها من إشكالات تعوق التدريس والتحصيل، موضحًا بالأدلة والشواهد ضرورة تغييرها.

من بينها رسالته إلى الأمير عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة القاجارى (الإيرانى) وزير العلوم فى ٢٠من يناير ١٨٧٤م الأول من شهر ذى الحجة ١٢٩٠ ق، التى قال فيها:

"أكتب من جديد، وسأظل أكتب مادمت حيًا، حتى تنتشر فكرة تجديد الأبجدية بين جميع الشعوب، لقد بذرت ولمدة قاربت الخمس عشرة سنة، بذور تلك الفكرة فى تربة إيران والروم، وليس هناك شك أنها ستنبت فى عصر أخلافنا"[2].

---

(١) مجلة بررسى فرهنك وخط شرق، الكتاب الثانى ـ باكو ١٩٢٨، ص ٥٩. مجموعة الفبای جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣، ص ٥٣، المصدر السابق ص ٣٣١.

(٢) المصدر السابق، ص٤٠ ـ مجموعة القبای جديد و مكتوبات، ص ٣١٧.

كتب الأمير فرهاد ميرزا، وكان قد التقى بآخوند زاده قبل ثلاث سنوات من وفاته، فى مدينة تفليس، فى شوال ١٢٩٢ق وتحدث إليه، وكتب فى كتابه المعروف"سفرنامه مكة" الرحلة إلى مكة:

"ميرزا فتحعلى آخوند زاده. المعروف بالروسية باسم "آخوندوف بولكنيك" وهو المترجم ذو القدم المعلى فى كل بلاد القوقاز، كان قد اخترع أبجدية خاصة به وتقع فى ثلاثة أقسام،أعجبنى منها قسمان: القسم الأول الحروف المقطعة (المفردة)، وأنها يجب أن تكتب من الشمال إلى اليمين، وهو اختراع مقتبس من أشكال الخط اللاتينى، وقلت إن المسلمين لن يقبلوه، لأنه شبيه بالخط الإفرنجى، ولكن القسمين الآخرين إذا قبلا يكونا أحسن، كما بدّل ابن مقلة الخط الكوفى بخط النسخ مماسهل الكتابة".

وتتضح أهمية ما قام به كل من: آخوند زاده، وميرزا ملكوم خان، أنها كانت المرة الأولى التى يهتم فيها بهذا الأمر علماء من المشرق الإسلامى، وأن جميع من تحدثوا فى موضوع الأبجدية بعدهما قد أفادوا من آرئهما ووجهة نظرهما.

قام عدد من علماء المشرق بعد آخوند زاده بالاهتمام بموضوع الأبجدية، وسلكوا نفس مسلكه متحدثين عن عدم ملاءمة الخط الحالى للأمم الإسلامية، وكتبوا فى ذلك العديد من الرسائل، واخترع بعضهم أبجدية جديدة، إلا أن المناخ لم يكن مهيئًا لقبول تلك الآراء، ولم تكن تلك الخطوط المقترحة قادرة على القضاء على عيوب الخط الحالية، كما لم يكن أى منها كفيلاً بحل المشكلات التعليمية والمطبعية، فلم يكن أى منها قابلاً للتنفيذ.

كان أشهر هؤلاء العلماء المشرقيين، ميرزا ملكوم خان ناظم الدولة[1]"اعتقد ملكوم خان، كما اعتقد آخوند زاده أن "وضع خطوط الأمم الإسلامية ملىء

---

(١) ملكوم خان واحد من أئمة الفكر والإصلاح فى إيران. لفت انتباه مظفر الدين شاه الملك القاجارى إلى تقدم الغرب حين ألف كتابا أسماه "دفتر تنظيمات" أو كتاب الإصلاح، وكان هذا الكتاب أو الدفتر =

بالعيوب، وأن بمثل هذا الخط سيكون محالاً على الأمم الإسلامية أن تصل إلى ما وصلت إليه أوروبا من تقدم ورقى[1].

لم يقترح ملكوم خان تغيير الأبجدية الفارسية وأخذ الأبجدية الأوروبية، ولكنه أنشأ خطّا آخر من حروف الأبجدية الفارسية، كان يبدو من وجهة نظره أيسر وأفيد.

ونشر اختراعه هذا فى رسالة، باسم (نمونه خط آدميت)، أى نموذج لخط إنسانى فى عام ١٣٠٣ق، ونشرها فى لندن ملحقة بكتاب التنوير(كتاب روشنائى)؛وكتب فى هذا الشأن رسالتين الأولى: مبدأ ترقى، وشيخ ووزير، أى بداية الرقى، والشيخ والوزير، كما نشر عددًا من حكايات سعدى (واحد من أبرز أدباء الفرس فى القرن السابع الهجرى والملقب بألقاب عدة منها: شاعر الإنسانية، وقد سبقت الإشارة إليه عن الحديث عن عزام رائدًا) بمعاونة من ميرزا محمد على خان فريد الملك الهمدانى، سكرتير السفارة الإيرانية فى لندن آنذاك، وكذلك " كلمات قصار لأمير المؤمنين على بن أبى طالب" . نشر هذا كله بالخط الملكومى نسبة إلى ملكوم خان (أى الحروف المفردة، مع حذف بعض حروف الأبجدية). نشر هذا فى لندن عام ١٣٠٢/٣ق وأشار ملكوم خان فى مقدمته لكتاب كستان، أنه تحمل فى هذه السبيل متاعب لمدة خمسة وعشرين عامًا؛ولكن أبجديته الجديدة لم تلق رواجًا لما صادفته من نفس المشكلات والعقبات التى واجهها آخوند زاده، ولما احتوته من عيوب ونواقص.

= أول اقتراحات منهجية تكتب فى إيران الحديثة. كما ألف فى منفاه فى لندن"كتاب ـ حكاية مسافر" هاجم فيه علماء الدين، ووصفهم بالجهل وعدم القدرة على تقدير قيمة العلم الحديث ودوره فى رقى الأمم.

ويعد هذا الكتاب أول كتاب يهاجم علماء الدين وينشر فى إيران، كما أنشا صحيفة مشهورة عرفت باسم (القانون) لنقل آرائه وأفكاره من لندن، وصدر العدد الأول منها عام ١٨٩٠م، واستمرت ثمانى سنوات، وكان مجموع ما صدر منها أربعين عددًا، كان شعارها (الوحدة، العدالة، التقدم). وقد اعتبرت هذه الصحيفة فيما بعد واحدًا من عوامل اندلاع الحركة الدستورية".

"لمزيد من التفصيلات، يرجع إلى كتاب "الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية، "تأليف السباعى محمد السباعى.

(١) مقدمة كتاب روشنائى. كتاب التنوير، لندن ١٣٠٣ق ـ ازنيماتا روزكا رما، ص٤١.

كما كان مستشار الدولة ميرزا يوسف خان التبريزى واحدًا من أكثر أتباع هذه الفكرة تحمسًا، فاستفتى عام ١٢٩٧ق علماء الدين البارزين فى مدينة مشهد عن تلك المسألة.فأجابه على سؤاله ميرزا نصر الله بفتوى جاء فيها:

"إن التغيير فى الخط واختراع خط جديد أمر جائز مطلقًا، وإذا كان بهدف التيسير والتعلم والقراءة الصحيحة فإنه ألزم، وإذا تخيل شخص أن هذا التغيير تشبه بأهل الغرب، وهذا ليس جائزًا، فإن التوهم ضعيف فإن مثل هذه التشبهات ليست حرامًا وإلا كان استخدام المدفأة (السماور) يجب أن يكون حرامًا".

كتب مستشار الدولة ١٣٠٣ق رسالة فى هذا الشأن، على درجة كبيرة من الأهمية باسم: "إصلاح خط إسلام"، وطبعت فى طهران.

والحق أن هذه الخطوط جيمعًا احتوت العديد من العيوب قلت أو كثرت، ولم يكن أىّ منها قابلاً للتطبيق، ولم يهتم أى من كبار المسئولين فى الدولة بمثل ١٤تلك الاقتراحات، ولم تحظ منهم بأية عناية. وفى مقابل ذلك فإن أكثر العلماء والمفكرين الذين ساهموا بدور رئيسى فى قيام الحركة الدستورية فى إيران، وكان دورهم مؤثرًا فى المطالبة بالحرية. وقد أشاروا إلى مثالب الخط الفارسى وعيوبه، وطالبوا بإصلاحه.

كان من بين هؤلاء؛ طالبوف فى كتاباته، فتحدث فى أكثر من موضع عن سقوط الأمة الإيرانية أسيرة فى الأبجدية المندرسه(البالية)، وضرورة تغيير أبجديتنا كما ورد فى "كتاب أحمد" ص ٣٢، ١١، ١٠، و"مسالك المحسنين ص ٢٤٨".

بعد الحرب العالمية الأولى و"ثورة أكتوبر البلشفية"، طرحت مسألة تغيير الأبجدية وضرورة وجود خط جديد، يسهل التقدم ويعمم العلم والمعرفة دون عوائق، بين قطاع كبير من الناس فى سائر أقطار المشرق الإسلامى التى تخضع للثقافة والأبجدية الإسلامية، وازدادت فكرة ارتباط التخلف بالأبجدية والخط

العربى رسوخًا بين المثقفين وغيرهم، فقام كثيرون منهم بتقديم اقتراحات جديدة، واختراع أشكال شتى من الخط، منهم على سبيل المثال.. الأمير ميرزا رضا خان أرفع الدولة الذى طبع رسالة فى استنابول تحت عنوان: (رسالة رشيدية)؛ وآخوند ملا أحمد حسين زاده شيخ الإسلام فى القوقاز الذى طبع رسالة عام ١٢٩٧ق بعنوان "معلم الأطفال"؛ وأعضاء المجمع العلمى فى بمباى (الهند) الذين اخترعوا فى عام ١٣٠٨ق خطًا جديدًا، وألفوا رسالة بهذا الاختراع وطبعوها تحت مسمى "خط دانش انسانيت"، أى خط المعرفة الإنسانية؛ وحاجى ميرزا لطفعلى مجتهد التبريزى وميرزا كاظم خان آن براغوشى، المتخلص بـ(مطلع)، حيث اخترع كل واحد منهم أبجدية، ورسالة فى هذا الشأن؛ ومحمد أقا شاه تختينسكى صاحب الصحيفة اليومية الشهيرة" شرق روس"فى تفليس، حيث ألف رسالة عن الأبجدية واستبدلها بأخرى فى عام ١٣٢٣ق، رسالة بعنوان: " راه نو" أى الطريق الجديدة؛ وأحد المفكرين الألبان الذى ألف عشرين رسالة وكتابًا فيما يتعلق بتغيير الأبجدية، بعد أن بذل جهدًا فى هذا الشأن لمدة خمسة وعشرين عامًا، ودون أن يطلع على ما بذله السابقون والآخرون فى هذا الميدان.

خلال السنوات العشر الأولى التى تلت قيام الثورة البلشفية، كانت مسألة تغيير أبجدية الأمم والشعوب التركية والتترية إلى الأبجدية اللاتينية واحدة من أهم المسائل التى واجهت الشعوب التركية الناطقة باللغة الروسية.

فى تلك الأثناء كانت غالبية تلك الشعوب ترسف فى أغلال الأمية، بعيدة عن ركب التقدم والمدنية التى بلغت فيها أوروبا شأوا كبيرًا، ومع أن المثقفين والمفكرين فى تلك المناطق قد أدركوا منذ زمن بعيد ما يعترى الأبجدية العربية أن جهودهم لم تحرز أى نجاح. لذا عادت فكرة تغيير الأبجدية من جديد بعد الثورة البلشفية بين تلك الشعوب، بصورة أكثر اتساعًا وجدية، غذّتها عوامل سياسية واجتماعية وغيرها.

كانت حكومة آذربيجان السوفيتية السباقة فى هذا المجال، حيث كونت فى عام ١٩٢٢م/١٣٠١ش لجنة الأبجدية. أعدت أبجدية جديدة على أساس الخط اللاتينى؛ وطلبت الحكومة من جميع مؤسسات الدولة الإدارية والاجتماعية ـ بعد نشر تلك الأبجدية الجديدة ـ إطلاع موظفى الدولة عليها وتعريفهم بها، وعهدت إلى رؤساء الإدارات ومؤسسات قسم الطباعة تبديل الأوراق الإدارية إلى الأبجدية الجديدة.

وتم فى ٢٠من شهر أكتوبر ١٩٢٣م/ شهر مِهّر من عام ١٣٠٢ش اعتراف اللجنة التنفيذية المركزية للأبجدية، بالأبجدية التركية الجديدة، وأصدرت أمرًا بأن تعد جميع الرسائل والمستندات بالخط الجديد، إضافة إلى الخط القديم.

وتم الاعتراف بتلك الأبجدية لغة للتعليم خلال عامى ١٣٠٤ـ ١٣٠٥هـ ش. وكلفت وزارة المعارف بتحمل تلك المسئولية. ويعتقد مؤيدو الأبجدية الجديدة أنها حققت نتائج إيجابية على مستوى التقدم الفكرى للأفراد والأمة، مما دفع سائر الأقوام التركية الأخرى إلى إعادة النظر فى أبجديتها وبحث الأمر مليّا.

عقد أول مؤتمر لجمهوريات الاتحاد السوفيتى، بحضور ممثلين عن الجمهوريات التركية والتتارية والولايات والأقاليم التى تنعم بحكم ذاتى، فى مارس ١٩٢٦م/ اسفند ١٣٠٤ش، فى مدينة باكو (العاصمة). وبعد مباحثات مستفيضة انتهى بحث أمر موضوع الأبجدية اللاتينية بموافقة ١١١ عضوًا، ومعارضة ٧ سبعة أعضاء، وامتناع تسعة حول الإقرار بمزايا الخط اللاتينى وتميزه عن الخط العربى.

ولكن المؤتمر لم يحدد مباشرة الأبجدية التى يجب أن تخلف الخط القديم.

وتشكلت أول هيئة لتغيير الأبجدية فى ٣ يونيو ١٩٢٧م/ ١٣ من خرداد ١٣٠٦ هـ ش وعقدت أول ندوة لتغيير الأبجدية فى مدينة باكو، واستمرت جلساتها حتى السادس من شهر يونيو، وطرحت أبجدية جديدة موحدة حيث

وافق مندوبو الشعوب التركية الحاضرة فى هذه الندوة على تلك الأبجدية الجديدة. وبهذا انتهى البحث والجدال الذى استمر فترة طويلة سواء قبل مؤتمر التركيات أو بعد انعقاده.

وقبلت حكومة آذربيجان، والتى كانت قد اتخذت أبجدية خاصة بها من قبل، قبلت الأبجدية العامة الموحدة، وبدأت فى استخدامها منذ ١٩٢٩م/١٣٠٨ش فى المدارس والإدارات المختلفة، وفى طباعة الكتب والصحف.

كانت تلك الأبجدية الجديدة هى الأبجدية اللاتينية، ولكن ولأسباب سياسية، ولأسباب أخرى أخذوا رسم الخط من الأبجدية الروسية (يونانية) حيث انتشر هذا الخط منذ عام ١٩٣٩م/١٣١٨ش فى آذربيجان، ثم بعد ذلك فى سائر جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق.

كان المثقفون الأتراك قد تحدثوا كثيرًا عن صعوبات الخط العربى، كما تحدث الإيرانيون، وسبق القول بأن آخوند زاده الآذرى (آذربيجان الروسية) قد قدم فكرته إلى الأتراك حين التقى الصدر الأعظم فؤاد باشا، وحين عرض فكرته على المجتمع العلمى التركى ١٢٨٠ق، وكيف فشل فى مسعاه الذى تكرر كثيرًا وتناول فكرة آخوند زاده الكثير من الأدباء والمفكرين الأتراك بالدراسة والنقد، مثل نامق كمال الأديب والسياسى والعثمانى الشهير(١٨٤٠-١٨٨٨م) الذى ألف رسالة باسم" حول مسألة إصلاح الحروف" انتقد فيها اقتراح آخوند زاده وسائر المقترحات الأخرى.وجرى بينه وبين ميرزا ملكوم خان، وكان سفيرا لإيران فى تركيا العثمانية آنذاك، جرى بينهما جدال عنيف، فقد كان ملكوم خان كما سبق القول من أشد مؤيدى فكرة تغيير الأبجدية.

بينما كان نامق كمال وأبو الضياء توفيق(١٨٤٩-١٩١٣) يريان أن فى الإمكان الإبقاء على الأبجدية العربية، وإضافة عدد جديد من الحروف إليها فقد انضم إليهما إبراهيم شناسى(١٨٢٦-١٨٧١) فى تلك المناقشات، وكان يعتقد بالإمكان فقط حذف الحروف التى لا تلزم اللغة التركية.

وخلال عام ١٢٨٦ق، وأثناء المناقشات التى جرت بين نامق كمال وميرزا ملكوم خان على صفحات صحيفة (حريت) الحرية. كانت صحيفتا الترقى والحوادث تتناولان موضوع الأبجدية بالبحث والدراسة[١].

بعد انتهاء حرب الاستقلال وإعلان الجمهورية (أبان ١٣٠٢ش) أعيد طرح مسألة الأبجدية من جديد، وكان شكرى سراج أوغلو نائب أزمير فى مجلس الأمة التركى، هو أول من طرح المسألة فى أسفند ١٣٠٢ش، وألقى محاضرة فى هذا الشأن نشرتها أكثر الصحف التركية.

وكتب حسين جاهد يالجين الصحفى التركى المشهور (١٨٧٥-١٩٥٧م) فى السابع من اسفند ١٣٠٢ش فى جريدة "طنين" كتب مؤيدًا ما أعلنه مندوب أزمير، بضرورة إصلاح الأبجدية بصورة قطعية.

لكن الصحف التركية الأخرى لم تؤيده فى وجهة نظره فحسب، بل نرى صحيفة مثل صحيفة"إقدام" تنشر بقلم محمد على توفيق، وصحيفة محافظة باسم "توحيد أفكار" نرى هاتين الصحيفتين تشن حملة شديدة على فكرة تغيير الخط، وتتناولها بالنقد الشديد، كان من نتيجة هذا السجال الفكرى أن شكلت لجان ومجامع، اتفقت جميعًا على عدم تغيير الأبجدية.

وفى النصف الثانى من عام ١٣٠٣ش تقريبًا وطوال عام ١٣٠٤ش تم غض الطرف نهائيًا عن فكرة تغيير الأبجدية نتيجة لظروف سياسية. فى عام ١٣٠٤ش بدأت تظهر من جديد مقالات تناولت فكرة تغيير الأبجدية، وأضحت بعض الصحف التى سبق وعارضت الفكرة، أضحت مؤيدة لها؛ مثل صحيفة إقدام. وكتب عدد من نواب الأمة رسالة إلى رئيس الجمهورية، يطالب بالتدخل لإصلاح الأبجدية. لذا تكونت لجنة فى وزارة المعارف انتهت بعد بحث دقيق وعميق ومستفيض إلى إلغاء فكرة تغيير الأبجدية وفكرة إحلال الحروف اللاتينية محلها.

---

(١) ازنبما تاروز كار ما، ص ٤٤.

خلال تلك الأثناء عاد ممثلو تركيا فى مؤتمر التركيات الذى عقد فى مدينة باكو، والذى انتهى بتوصية مؤداها: إقرار الأبجدية اللاتينية فى سائر جمهوريات الاتحاد السوفيتى المستخدمة للأبجدية العربية.

عاد ممثلو تركيا من هذا المؤتمر، ونشروا قراراته وتوصياته فى الصحف التركية كما نشروا خلاصة لما ألقى فى المؤتمر من كلمات وبحوث، ولكنهم لم يذكروا شيئًا عن إمكانية تنفيذ تلك المقترحات والتوصيات فى تركيا وفى أبجديتها. ومع هذا عادت فكرة إصلاح الخط تطل برأسها من جديد وتترسخ فى أذهان المثقفين. ظهر لها مؤيدون من كبار رجالات الدولة ـ كما لو كان الأمر مخططًا بعناية وسرية شديدين ـ ونشرت صحيفة جمهوريت فى الأعداد ١٤، ٢٧، ٢ من شهر أغسطس ١٩٢٧، مقالات حول الموضوع، وطالبت العلماء والأتراك بدراسة المسألة وتبديل الأبجدية التركية إلى اللاتينية. فقد كان قد تم إلغاء الخلافة على يد مصطفى كمال.

وظهرت خلافات حادة وعميقة بين المؤيدين والمعارضين ورجحت كِفّة المعارضين آنذاك، وظهر أشخاص كانوا يرون أن على الدول التدخل لحسم الأمر.

لم يمض وقت طويل حتى أقر مجلس النواب التركى (المجلس الكبير) قانونًا تم بموجبه تغيير المواد ٢، ١٦، ٢٦، ٣٨ من الدستور، وبهذا التغيير قضى الأمر، وقبلت الأبجدية الجديدة، ولم يعد فى مقدور المعارضين الطعن فى الدستور أو مخالفته. بدأ الأتراك على الفور تنفيذ ذلك، إلا أن التنفيذ تأخر لأسباب اقتصادية.

فى الأول من يناير ١٩٢٨ أبلغ وزير الثقافة (المعارف) والعدل سائر المواطنين عبر الصحف؛ ضرورة التنفيذ الفورى والإفادة من الأبجدية اللاتينية فى سائر أنحاء تركيا.

وفى منتصف هذا الشهر أيضًا. شكلت فى بعض المدن فصول خاصة لتعليم الأرقام الأوروبية ثم الأبجدية اللاتينية، وعرضت الأفلام فى دور السينما على

الجمهور مكتوبة بالحروف اللاتينية، ومع هذا لم يكن تنفيذ الأبجدية موضع قبول الكافة.

فى ٢٦ يونيه ١٩٢٨م/ تير ١٣٠٧ش نظم المجمع اللغوى التركى المشروع النهائـى للأبجدية، واقترح أن يدرس فى المدارس هذا الخط خلال فترة تمتد سبع سنوات وبصورة تدريجية، وأعلن أن تنفيذ هذا المشروع على مستوى الدولة كلها يستغرق وقتًا أطول من ذلك. ورأت بعض الصحف (أقشام) أى (المساء) أن الأمر يحتاج خمس عشرة سنة ولكن الأمر تغير بصورة كلية، حين عرض رئيس المجمع اللغوى التركى، فألح رفقى آتاى فى سراى دله باغجه: موضوع الأبجدية الجديدة على رئيس الجمهورية مصطفى كمال(أتاتورك) وأخبره بالمدة المقترحة لذلك، صاح أتاتورك قائلاً: "لابد من تنفيذ ذلك خلال ثلاثة أشهر أو إلغاء الأمر نهائيًا".

عندئذٍ لم يكن هناك مجال للتأخير، وأخذ أتاتورك على نفسه أمر تنفيذ الأبجدية الجديدة، وألقى خطابًا قصيرًا فى اجتماع الحزب الجمهورى فى التاسع من أغسطس ١٩٢٨م فى بارك سراى بورنو، قال فيه: "يجب أن نكسر هذا القيد (السلسلة) الحديدى الذى طوّق عنق الأمة التركية منذ قرون خلت، وأن يتعلم الأتراك الأبجدية الحديثة خلال مدة تتراوح ما بين خمسة أيام أو عشرة أيام".

وعندئذٍ أقر مجلس النواب التركى فى شهر نوفمبر قانونًا يقضى بقبول الخط اللاتينى خطًا وأبجدية للغة التركية.

وهكذا نجحت فكرة وخيال تغيير الأبجدية العربية إلى الأبجدية اللاتينية بين الأقوام التركية أولاً، رغم أن أول رسالة تناولت هذه الفكرة وهذا الخيال كانت مكتوبة باللغة الفارسية، وكتبها فتحعلى أخوند زاده الآذرى كما سبق القول.

كان عزّام يراقب الأمر وتطوراته عن كثب دون شك وكتب عنه عددًا من المقالات تحت عنوان: **نهضة تركيا الأخيرة** كما سنرى فيما بعد، كما كان يراقب ما يجرى فى إيران حين أخذت تلك الفكرة تطل برأسها فى كتابات عدد من

المثقفين الإيرانيين، بحكم موقعه كمتخصص فى هذه اللغات، ورائدًا لها، والقادر على متابعتها فى مصادرها الأصلية، وربما التقى عددًا من المفكرين الإيرانيين المنافحين عن هذه الفكرة، وزاروا مصر والتقوا مفكريها.

تابع عزّام الدراسات والبحوث والمقالات التى كتبها وقام بها عدد من المفكرين الإيرانيين عن مسألة الأبجدية والخط العربى. كما كان قد تابعها فى تركيا قبل الحركة الكمالية وما بعدها.

أجمل يحيى آرين بور ما قام به الإيرانيون من دراسات حول هذه المسألة وضمنها كتابه"ازنيما تاروز كار ما"[1] وقال :"أما فى إيران فقد أعاد بعض المفكرين طرح هذه الفكرة من جديد، بعد الحرب العالمية الأولى، وكان من بينهم، ميرزا على أصغر طالقانى[2]وسعيد نفيسى [١٢٧٤-١٣٤٥ش]، وكان عضوًا من أعضاء مجمع اللغة الفارسية المؤسسين، ودرس فى العديد من الجامعات الأجنبية، كما درس فى القاهرة وبيروت. ورشيد ياسمى [3] [١٢٧٥ - ١٣٣٠ش] (١٣١٤ش)[*].

وسيد حسن تقى زاده [١٢٩٥ق - ١٢٥٧ش - حتى ١٣٤٨ش الموافق ١٨٧٨م] زار الكثير من البلدان والعواصم المختلفة، حيث زار مصر وبيروت ودمشق واسطنبول. وفى مصر التقى والشيخ محمد عبده وجورجى زيدان مؤسس دار

---

(١) ازينما كار ما، جـ ٣ من كتاب ازصبانا سينما - تهران ١٣٧٤ش، الفصل الثالث ٣٣-٥٤.

(٢) كان واحدًا من مؤسسى الحزب الديمقراطى، وكتب مقالًا فى صحيفة (زبان آزاد)أى اللغة الحرة، تحدث فيها عن أهداف الحزب، وأكد فيها على أنه كان من المؤيدين لمبدأ تغيير الأبجدية الفارسية، وأنه بذل جهودًا كبيرة فى هذا الشأن.

(٣) شغل موقع أستاذ التاريخ الإسلامى منذ إنشاء جامعة طهران ١٣١٢ش، ثم أصبح عضوًا فى مجمع اللغة الفارسية، كتب العديد من الأشعار عن مثالب الأبجدية الفارسية والخط العربى ومطلع إحدى قصائده التى تناولت تلك النواقص مطلعها: كذ شت از بيست سالم زندكانى ... ندا نم جون تلف كردم جوانى.

(*) الفرق بين التقويم الهجرى القمرى والهجرى الشمسى يتراوح ما بين ٤٠ إلى ٤٢ عامًا زيادة فى التقويم القمرى.

الهلال خلال عامى ١٣٢٢ ـ ١٣٢٤ق، وعاد إلى تبرير. وقد تزود بمعلومات ومعارف كثيرة.

وسافر إلى ألمانيا وفى أثناء الحرب العالمية الأولى، أسس مع عدد من الإيرانيين أمثال ميرزا محمد خان قزوينى وكاظم زاده إيرانشهر، وجمال زاده وبور داود وغيرهم لجنة باسم "القوميون ومحبى إيران". وفى العام الثانى للحرب العالمية الأولى (١٨ ربيع الأول ١٣٣٤/٢٣يناير ١٩١٦م) أنشأ مجلة باسم (كاوه) (اسم لأحد الأبطال الإيرانيين القدامى)، وصدرت فى دورتين: الأولى أثناء الحرب العالمية الأولى، واشتملت على ٣٥ عددًا من ١٨ ربيع الأول ١٣٣٤ حتى ذى القعدة ١٣٣٧ وكانت ذات طابع سياسى. أما الثانية أو الدورة الجديدة [١]، وبدأت بعد نهاية الحرب، من غرة جمادى الأولى ١٣٣٨ وحتى ٢٢ من شعبان ١٣٤٠، فكانت ذات محتوى ثقافى وأدبى وعلمى وتاريخى.وكانت عناوين مقالات سيد حسن تقى زاده "ملاحظات" أو "نكات وملاحظات"، وكانت ذات طابع اجتماعى وثقافى. كما كتب عددًا من المقالات تحت اسم مستعار "محصل"أى طالب علم..

كان سيد حسن تقى زاده من المولعين بالحضارة الغربية حيث كتب فى هذه الدورة الجديدة "واليوم فإن الأمر الذى يجب على إيران أن تأخذ به وقد بلغ الأوج ويتقدم على أى شىء: ثلاثة أشياء:

الأول: قبول الحضارة الأوروبية دون قيد أو شرط، والعمل على نشرها، والتسليم المطلق لها.

ثانيًا: الاهتمام التام باللغة الفارسية وآدابها، والعمل على نشرها وازدهارها،

ثالثًا: نشر العلوم الثقافية ودعوة الناس كافة لتأسيس المدارس "وتعميم التعليم".

كان من بين ما كتب تقى زاده رسالة تحت عنوان: "مقدمة فى التعليم العام" [مقدمة تعليم عمومى] عام ١٣٠٧ش/١٣٤٧ق، تحدث فيها عن الأسباب

---

(١) كاوه، الدورة الجديدة، العدد الأول غرة جمادى الأولى ١٣٣٨ق.

الجوهرية لضرورة تغيير الأبجدية، وضرورة استخدام خط جديد يعتمد على الأبجدية اللاتينية بصورة أساسية. وكتب مقالتين الأولى عام ١٣١٤ش وكانت بعنوان: "النهضة الأدبية القومية" جنبش ملى أدبى "فى العدد الخامس من مجلة "تعليم وتربيت" "التعليم والتربية". نادى فيها بتخليص اللغة الفارسية من الكلمات العربية ووضع شروطًا لابد من توافرها لذلك، ونادى بعدم الإفراط فى معاداة الكلمات العربية وبخاصة تلك الكلمات التى تحتاجها الفارسية، وبعد اثنتى عشرة سنة وحين عاد من رحلة طويلة إلى أوروبا، ألقى خطابًا فى مدرسة المعلمين العليا، أى فى شهر أسفند ١٣٢٦ش تحت عنوان: "لزوم حفظ فارسى صحيح، "أى ضرورة المحافظة على الفارسية الصحيحة. عدل فيها عن آرائه السابقة الداعية إلى تغيير الأبجدية وتنقية الفارسية من الكلمات العربية، وأبدى ندمه طالبًا المغفرة، كما ضمن ذلك مقالة له فى مجلة ياد كار[١].

ومنهم أيضًا؛ أبو القاسم آزاد مراغه، أى الذى قدم من الهند إلى إيران فى منتصف سنوات الحرب العالمية الأولى [ولد١٣٢٤]، وأسس مجلة "نامه بارسى"، أى الرسالة الفارسية، هدف منها إلى تنقية اللغة الفارسية من الكلمات العربية، وخلت مقالات تلك المجلة كلها" من بدايتها إلى نهايتها من كلمة عربية واحدة".

كما نادى بتغيير الأبجدية وأسس لذلك جمعية عرفت باسم " كروه طرفداران القباى آسان"، أى جماعة المؤيدين للأبجدية السلسة وتولى هو سكرتارية هذه الجماعة، ونادى باتخاذ الأسباب التى تؤدى إلى طرح هذه المسألة على مجلس الشورى فى دورته الخامسة عشرة، حتى يأخذ الموضوع صفة الشرعية، ولكن القدر لم يمهله حيث توفى قبل افتتاح الدورة الجديدة للمجلس. وكانت وفاته فى الخامس من شهر خرداد ١٣٢٥ش.

---

(١) ياد كار السنة الرابعة ـ العدد السادس.

كان يخالف هؤلاء المؤيدين لتغيير الأبجدية، عدد من المفكرين الإيرانيين، أمثال: كاظم زاده ايرانشهر[1]، وأحمد كسروى[2]، ١٣٢٣، ١٢٦٩ش، فلم يكن مؤيدًا لفكرة تغيير الخط العربى واستخدام الخط اللاتينى بل كان وأتباعه يهدفون إلى وضع أسس وقواعد اللغة الفارسية، ووضع خط سلس ومناسب يحل محل الأبجدية الحالية، كان كسروى يجيد العديد من اللغات ومنها العربية.

تأسست فى طهران عام ١٣٣٨ش جمعية باسم (انجمن إصلاح خط) أى جمعية إصلاح الخط، ورأسها سعيد نفيسى وضمن فى عضويتها جمعًا من العلماء من بينهم دكتور نصر الله شيفته، مسعود رجب نيا، إبراهيم كرا نفر، منوجهر اميرى، يد الله رويائى، يحيى ذكا، سهيل آذرى، دكتور مروستى.

اقترحت هذه الجمعية أبجدية جديدة، وكتبت فى الصحف والمجلات، وبثت عبر الراديو عددًا من الأحاديث والمقالات التى تناولت مثالب الأبجدية الفارسية الحالية وضرورة تغييرها، وأوضحت تلك الجمعية أن إصلاح الخط أهم مناحى الإصلاح الاجتماعى فى إيران، ولكنها قرنت رأيها هذا بالتأكيد على أن هذه الإصلاحات المهمة يجب ألا تتم بالقهر والإجبار لأن رد فعل الشعب سيكون عنيفًا، ولن يتحقق الهدف المطلوب. لذا يجب أن نهيئ أفكار الناس لقبول تلك الفكرة بالمنطق القوى والبرهان الساطع والأدلة المحكمة، عندئذٍ سيزداد عدد المؤيدين للفكرة، وتحصل على تأييد الأمة لها.

واستمر البحث والدراسة، وتعددت المقالات حول هذا الموضوع فى الصحف والمجلات. وتكونت فى طهران عام ١٣٤٣ش جمعية باسم "انجمن ترويج زبان

---

(١) عمل فى مجلة كاوه التى كانت تصدر فى برلين بألمانيا، ذكر أنه ابتكر أسسًا جديدة لتعليم الأبجدية، وادعى أنه بهذه الأسس استطاع تعليم عدد من الألمان اللغة الفارسية قراءة وكتابة خلال اثنى عشر درسا لمدة ستة أسابيع، وكتب فى شهر يونو ١٩١٨م رسالة تحت عنوان "الطريقة الجديدة لإصلاح أبجدية اللغات الشرقية"، وكتب رسالته تلك باللغة الألمانية، وأرسل عام ١٩٣٣م نسخة أصلية من تلك الرسالة مع عدد من الأكليشيهات الخاصة بها إلى وزارة المعارف الإيرانية.

(٢) كسروى "درپيرا مون زبان": مجلة برجم السنة الأولى، العدد الأول.

فارسى"، أى (جمعية نشر اللغة الفارسية) وطبعت مجلة باسم (بنياد فرهنگ)، أى مؤسسة الثقافة، التى اقترحت أبجدية فارسية بخط عالمى (الفباى فارسى به خط جهانى)، وطالبت القراء بأن يدلوا بآرائهم ووجهات نظرهم حول الأبجدية الجديدة والكتابة بذلك إلى الجمعية.

وفى عام ١٣٤٤ش عرضت مجلتان فى طهران موضوع الأبجدية وهما مجلة روشنفكر (المثقف) وسبيد وسياه، أى الأبيض والأسود، وعنهما انتشرت الفكرة فى مجلات أخرى، وكانت كلها ميدانًا عرضت فيها آراء القراء المؤيدة والمعارضة.

تحتل المقالات التى كتبت فى هذا الموضوع، والتى كتبها دكتور رحمت صفوى، مدير تحرير مجلة روشنفكر، أهمية خاصة[1] حيث كتب فى إحدى مقالاته فى تلك الفترة عام (١٣٤٤ش فى السادس من شهر أبان):

"ربما تعتقدون أن الأبجدية الفارسية تتكون ـ كما علمونا فى الصغر من٣٣ حرفًا - اعلموا أن الأمر ليس كذلك، فالأبجدية الفارسية ١٢٣ مائة وثلاثة وعشرون علامة، "لأداء أربعة أو خمسة وعشرين صوتًا".

والخلاصة

إن أكثر المفكرين الإيرانيين لا ينكرون اليوم محاسن الأبجدية اللاتينية، وضرورة تغيير الأبجدية الفارسية الحالية، ولكنهم وجلون من صعوبة ذلك، ويخشون عاقبة ما يمكن أن يترتب على تغيير الأبجدية من ضرر يلحق بكنوز المعارف والأدب الفارسي، ورغم ما كتب من رسائل جامعية حتى الآن فى هذا الشأن فمن العسير إقناع الرأى العام بأن تغيير الأبجدية الفارسية والخط العربى إلى الخط اللاتينى لن يؤثر سلبًا فى الدين والقانون والتراث ولغة الأمة ومعارفها.

---

(١) العدد ٦٢٨ فى ٢٩ مسرى ١٣٣٢٤ش، وكذلك العدد ٦٢٩ فى أبان ١٣٤٤ش.

وهناك عدد من الخطوات العلمية لضبط الكتابة الفارسية، وطبعت بها عدد من المتون الفارسية، من بينها خطوط اختارها علماء اللغة الأوربيون والمستشرقون الأوربيون للغة الفارسية. قامت أكثرية هذه الخطوط على أساس استخدام الحرف اللاتينى للغة الفارسية دون تدخل أو تصرف فى نظام الخط أى بطريقة Transliteration (أى الكتابة الحرفية) فقد استخدموا - على سبيل المثال - لكل من حروف: س، ص، ث حرفًا لاتينيًا واحدًا، بإضافة علامة مميزة لكل حرف.

ومن المؤكد أن هذه الخطوط لها إيجابياتها وسلبياتها من الناحية الفنية. يقول يحيى آربن بور[1]: إننا حين نقرأ كتاب رزون Rosen الذى كتبه بالألمانية تحت عنوان: "هل تتحدثون بالفارسية؟" حين نقرأ فى هذا الكتاب جزءًا من كتاب سفرنامه لأوربا الذى كتبه ناصر الدين شاه الملك القاجارى سنحس بيسر وسهولة كبيرة حين نقرأ المتن الفارسى، فإذا كتبت كل المتون الفارسية بمثل تلك الأبجدية أو بأبجدية أفضل منها وأيسر، فلن يكون هناك مجال للحدس والتخمين والاستنباط.

واستشهد المؤيدون لفكرة تغيير الأبجدية الفارسية إلى الأبجدية اللاتينية، بالدراسة التى قامت بها جامعة أوبسالا السويدية وهى واحدة من أقدم وأكبر الجامعات بها، حين أجرى أستاذ اللغة الفارسية بها تجربة شملت عشرة طلاب أو خمسة عشر طالبًا يدرسون الفارسية وآدابها، ذكر صحفى فى جريدة إطلاعات زار هذا القسم فى الجامعة السويدية، ذكر أن هؤلاء الطلاب كانوا عاجزين عن التكلم باللغة الفارسية وأنه كان عاجزًا عن فهم ما يريدون قوله، وأنهم كان يقرأون أى متن فارسى بطريقة تبتعد كثيرًا عن النطق الصحيح، وأنهم أرجعوا ذلك إلى صعوبة الخط والأبجدية الفارسية. وذكر هذا الصحفى أيضًا أنه ناقش الأمر مع عدد من طلاب كلية التربية وعلم النفس، وناقش معهم أفضلية

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠.

استخدام الحرف اللاتينى على الحرف الفارسى (العربى)، واتفقوا على إجراء تجربة على مجموعتين من الطلاب مستخدمين وسائل التربية الحديثة، وتمت التجربة على طلاب فى سن الخامسة من عمرهم درست مجموعة منها بالأبجدية الفارسية، والأخرى بالأبجدية اللاتينية وأخضعوا المجموعتين لتجربة تعليمية باختيار كلمات جديدة.

وكانت نتيجة التجربة فى صالح الأبجدية اللاتينية.

انتهى الكاتب، بعد هذه التجربة وما أثبته البحث التجريبى العلمى، وما حدث فى استكهولم إلى القول بأنه يجب على المسئولين فى وزارة التربية والتعلم والخبراء وأساتذة علم النفس فى إيران إجراء المزيد من التجارب على العديد من تلاميذ المرحلة الأولى، وتوفير كل الإمكانات المطلوبة للتأكد من تفوق الأبجدية اللاتينية على الأبجدية الفارسية كأبجدية للتعليم، فإذا كانت النتيجة إيجابية لصالح الخط اللاتينى، فإن العقل السليم يقتضى التسليم لما انتهت إليه التجربة، ويصبح من المحتم اختيار خط جديد يتم بحث كل جزيئاته، ويطرح الأمر فى داخل إيران وخارجها المشاركة الفاعلة وإبداء الرأى حتى يتم الاتفاق، ويدخل هذا الأمر المهم حيز التنفيذ. وقامت الثورة الإسلامية فى إيران، فلم يعد يحتل هذا الأمر الأهمية التى كانت له من قبل.

آثرت فى مناقشة هذه القضية، الاستمرار بمتابعة تطورها، حتى يقف القارئ على ما يدور فى العالم الإسلامى من مناقشات حول قضية الأبجدية وما تعرضت وتتعرض له لا فى العالم الإسلامى غير العربى فحسب، بل وفى العالم العربى كما سنرى فى دراساتنا لموقف الدكتور عبد الوهاب عزّام من هذه القضية.

أرى قبل توضيح رأى عزّام فى قضية الأبجدية العربية والأبجدية اللاتينية، التى ناقشها مناقشة مسهبة فى مقالاته عن نهضة تركيا الحديثة، وما قدمه من دراسات حول الخط العربى ومزاياه وعيوبه، أن نقف على جانب من تلك الدراسات التى قدّمها، الإيرانيون والداعون إلى إصلاح الأبجدية أو تغييرها.

قالوا:

"إن الخط العربى أخذه العربى منذ زمن ليس ببعيد عن ظهور الإسلام من الأنباط[1]، ومن السريان عن طريق الحيرة، وأصبح الخط النبطى أساس خط النسخ، بينما أصبح الخط السريانى أساس الخط الكوفى".

والأبجدية العربية[2]، شأنها شأن اللغات السامية، فهى منها أو هى أصلها. تكونت من ٢٢حرفًا فى البداية على النحو التالى: أ ب جـ د، /هـ و ز ، ح ط ى، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ـ ق ر ش ت: أى أبجد هوز حطى كلمن، سعفص، قرشت، ولأن هذه الحروف الاثنى والعشرين، لم تكن كافية لأداء جميع أصوات النطق (الكلام) زاد العرب عليها الحروف الست التالية؛ [ث ـ خ ـ ذ]، [ض، ظ، غ]. وأصبحت الأبجدية العربية على النحو التالى:

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ ..

لتصبح الأبجدية العربية: ثمانية وعشرين حرفًا.

وفى القرن الهجرى الأول، استخدمت تحت الحروف أو فوقها من نقطة إلى ثلاث نقاط، ثم أضيفت إلى الحروف، تسهيلاً لقراءة الكتب العربية، وبخاصة القرآن الكريم، لدى أبناء الشعوب الإسلامية غير العربية[3]؛ الحركات الثلاث والتنوين الثلاث، والجزم والشدّ والمدّ والهمزة بعد إدخال هذين الإصلاحين على الأبجدية ولتسهيل عملية التعليم على الناشئة وضعوا الحروف ذات الشكل الموحد

---

(١) أمة العرب أقامت مملكة شمالى الحجاز، وجنوبى الشام قبل الميلاد بثلاثة قرون أو أكثر.وبقى لهم الملك إلى أوائل القرن الثانى الميلادى. وكانت لهم مدينتان كبيرتان: الأولى تسمى (سلع) وتسمى عند الأوروبيين (بترا)، المدينة الثانية الحجر والتى عرفت باسم "مدائن صالح" وهى فى شمالى الحجاز.

(٢) أقدم ما كشف من الآثار العربية يرجع إلى القرن الخامس الميلادى؛ وجد فى زبد، بين قنسرين ونهر الفرات وفى حران، كما عثر فى مصر على أقدم نقش عربى إسلامى وهو مؤرخ سنة ٣١هـ ، عزّام، الثقافة.

(٣) العدد ٢٧٧ ، ١٨ أبريل ١٩٤٤.

بعضها بجوار بعض، وأعادوا ترتيب الأبجدية طبقًا لذلك، لتصبح على النحو التالى وفقًا لما هو معروف حاليًا:

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، و، هـ، ى.

أى ثمانية وعشرون حرفًا.

لذا امتازت الأبجدية العربية بهذه الإصلاحات على سائر الأبجديات السامية الأخرى.

بعد أن دخل العرب إيران فاتحين وما ترتب على ذلك من انتشار للإسلام بها بعد أن دخل غالبية الإيرانيين فى دين الله أفواجًا، مؤمنين بمبادئ هذا الدين، ودخلت جماعة منهم فى الدين الجديد، عملاً بمبدأ التقية التى ألفوها منذ ظهور الديانات المناوئة للديانة الزرادشتية، وبقى آخرون على دياناتهم القديمة مع التسليم بدفع الجزية، كما نجم عن هذا الفتح انتشار للغة العربية بين أتباع الدين الجديد ومن لم يؤمنوا به، فقد أصبحت للعرب الغلبة السياسية و الاجتماعية فضلًا عن الدينية، ولصعوبة الأبجدية البهلوية قبل الإيرانيون الأبجدية العربية بكل ما فيها، دون تدخل أو تحريف بديلًا عن الخط البهلوى، ولكنهم أضافوا إليها حروفاً أربعة، لأداء أصوات خاصة باللغة الفارسية، لم تكن موجودة فى الأبجدية العربية.

واختار الإيرانيون هذه الحروف الأربعة من بين الأبجدية العربية، بإضافة عدد من النقاط لتلك الحروف أو مد طويل لها، وهى عبارة عن: ب، ج، ز، كً.

لتصبح الأبجدية الفارسية اثنين وثلاثين حرفًا.

والآن نتساءل عن عيوب الخط الفارسى ومثالبه من وجهة نظر الداعين إلى الإصلاح أو التغيير الكلى للأبجدية؟

يقول الداعون للإصلاح : إن الأبجدية عبارة عن نقوش وعلامات متفق عليها وهى ما نسميه بالحروف، وكل حرف علامة نطق لواحد من أصوات اللغة يؤديها الناس الذين يتكلمون لغة واحدة.. وأن عدد هذه الأصوات فى لغات العالم المختلفة، وفى نظام الأبجديات المتعددة فى حدود الثلاثين صوتًا تقريبًا. وأن تعلم واستيعاب هذه العلامات الثلاثين، يجب ألا يستغرق من المتعلم المبتدئ أكثر من ثلاثين ساعة. أى أن كل شخص يجب أن يرسم بيسر صورة الصوت الذى سمعه أو يسمعه خلال عدة أيام؛ ومع تعلم هذه الأشكال والصور. يستطيع أن يكتب لغته الأم وإذا كتب يستطيع قراءتها، وإذا استطاع قراءة صفحة واحدة، يجب أن يكون قادرًا على قراءة كل الكتب التى كتبت بهذه الأشكال أو الحروف أو طبعت بها، وكتابتها بيسر وسهولة.

من أجل هذا فإن درس الإملاء والقراءة الفارسية واحد من أصعب دروس التعليم فى مرحلة الدراسة الابتدائية ذات السنوات؛ ومن هنا أيضًا تستمر الكتابة الخاطئة فى المدارس الثانوية وفى الجامعة وتلازمنا باقى عمرنا كإيرانيين. ومن هنا أيضًا فإن أهل إيران مهما علت منزلتهم فى العلم والفضل، يجب عليهم لكتابة الخط الفارسى وقراءته الصحيحة، أن يكونوا قد رأووا هذه الكلمات مستقلة وتعرفوا عليها من قبل. ومع هذا فأإذا رأووا كلمة غير معروفة بمفردها (أى ليست بين عبارة) أو اشتقت من كلمة أخرى غير معروفة فإنهم يكونون عاجزين عن قراءتها، ويكونون مضطرين للرجوع إلى المعاجم أ و يستمعون إليها من لغات أخرى أو يعرفون الإملاء الصحيح للكلمة من كتابتها بالخط اللاتينى.

وقد عدّد الداعون لإصلاح الأبجدية الفارسية(العربية) مثالبها وقد ذكر يحيى آرين بور أهم تلك المثالب[1] :

---

(١) ازنيما تاروزكَا رما، ص ٣٤ـ ٣٦.

١ ـ ليس للأبجدية الفارسية حروف صوتية أو حركات، فهى لا تأتى كحرف معين داخل الكلمة. فالحركات أو الحروف الصوتية تستخدم فى الأبجدية الفارسية بصورة مستترة، وهى عبارة عن الفتحة أو الكسرة أو الضمة، والتنوين: المفتوح والمكسور و المضموم، والجزم والمدّ والتشديد، وكذلك الحروف الصامتة الأربعة المعروفة بحروف الإملاء. وعلى هذا يجب على القارئ أن يكون على معرفة ذهنية مسبقة بالكلمة وموقعها فى السياق حتى ينطقها النطق الصحيح؛ وإذا وردت الكلمة بمفردها (أى ليست داخل عبارة من العبارات)، فإن أى أستاذ عالم لا يستطيع قراءتها القراءة الصحيحة، أو فهْم هدف الكاتب من كتابتها.

مثال ذلك كلمة (كرد)، فإنه يمكن قراءتها باثنتى عشرة صورة وكلمة "بردم" يمكن قراءتها بستة وثلاثين شكلاً، فى حين أن من كتبها هدف إلى هدف واحد فقط وشكل واحد.

٢ـ ليس لكل حرف شكلاً مستقلاً؛ فمن بين حروف الأبجدية الاثنين والثلاثين، هناك ستة عشر حرفًا فقط (١٦) لها شكل خاص بها. والحروف الباقية، إما أنها متشابهة تشابهًا كبيرًا، أو يمكن التمييز بينها وبين بعضها بإضافة نقطة أو نقطتين أو ثلاث فوق الحرف أو أسفله، وهى على النحو التالى:

١	٢	٣	٤	٥
أـ	(ب ب ت ث)،	(ج ج ح خ)،	(د ذ)،	(ر ز ز)،
٦	٧	٨	٩	١٠
(س ش)،	(ص ض)،	(ط ظ)،	(ع غ)،	(ف ق)،

١١

(ك كَ ل)، م، ن، و، هـ، ى.

وبناءً على هذا، فإذا كان الإنسان يكتب بسرعة، أو أغفل الكاتب أو الطابع، وضع نقطة أو عدة نقاط، أو أضافها، أو حرّف موقعها، أو محيت بمرور الزمن، اختلف أو تلاشى المعنى المقصود، وفهمت العبارة فهمًا خاطئًا ووجب على القارئ الحدس والتخمين حتى يدرك المعنى المقصود، وأصبح الأمر ليس يسيرًا مثل: بخريد ونخريد، أى اشترى ولم يشتر ، ومثل :سرّ وشرّ حرو خر ومحرم ومجرم، دليل وذليل، كرم وكَرم، خبر وخير.

٣ ـ الحروف غالبًا متشابهة، ويمكن بقليل من الغفلة أن يكتب بعضها فى موضع بعضها الآخر، فيتغير المعنى كلية ؛مثل: در، ور، رد.

٤ ـ بعض الحروف تقرأ و لا تكتب ؛مثل: هكذا، لهذا، إسماعيل، رحمن.

٥ ـ بعض الحروف تكتب ولا تقرأ ؛مثل: خواجه، خواهش (طلب أو رغبة)، خواهر (أخت) خويد، خوار(ذليل)، عمرو.

٦ ـ بعض الحروف تقرأ بصورة مغايرة عما تكتب بها ؛ مثل: مرتضى، يحيى، أعلى، جسارتًا وعجالتًا، وهى (جسارة وعجالة فى العربية).

٧ ـ بعض الحروف تنطق بعدة أوجه ؛ مثل (الواو) فى الكلمات مثل: تو (أنت)، أو (هو أو هى)، آواز (صوت)، نو (جديد) وحرف ى فى الكلمات دير ودير وسير وسير.

٨ ـ تكتب الحروف منفصلة، وتغيير صورتها حسب موقعها فى الكلمة، سواء فى أولها أو وسطها أو آخرها، فتتغير صورتها الأصلية، وتبدو فى صور وأشكال مختلفة، مثل حرب (ب) التى تكتب بصور وأشكال أربعة.

وعلى هذا، فإذا كان تعداد حروف الأبجدية فى أكثر لغات العالم لا يتعدى ما بين ٢٥ خمسة وعشرين إلى ٣٠ الثلاثين حرفًا، فإنها فى الأبجدية الفارسية تصل إلى ستة عشر ومائة شكلاً (١١٦) تقريبًا.

٩ ـ هناك حروف تنطق فى الفارسية نطقًا واحدًا، ولكنها تنطق فى العربية نطقًا مختلفًا، ولكل منها نطق وأداء خاص، مثل: آذان ـ ظهر، ضامن، زيارات، يستلزم استيعابها، وتعلم طريقة نطقها، وكتابتها كتابة صحيحة، وصرف مزيد من الوقت دون فائدة، ولا يسلم أى كاتب فى نهاية الأمر، من الوقوع فى الخطأ، وهذه الحروف هى:

١	٢	٣	٤	٥
ت، ط؛	ث، س، ص؛	ح، هـ؛	ز، ذ، ض، ظ؛	ق، غ.

١٠ـ الكتابة من الشمال إلى اليمين أكثر يسرًا وسهولة.

وأضافوا إلى ذلك قولهم: إذا كانت تلك المثالب، خاصة بالكتابة الخطية، فإنها أكثر صعوبة وضررًا عند استخدام الآلة الكاتبة، أو فى الطباعة، فهى تكلف المزيد من الوقت والمال سواء للكاتب أو عامل الطباعة؛ وتؤثر فى أسعار الصحف والمجلات والكتب، وهى لازمة للارتفاع بمستوى القارئ وعامة الناس فى الأمة، وتحرمهم من نعمة الدراسة والمعرفة، كما تحرم إيران القدرة على توصيل أفكارها وأحاسيسها ومعارفها إلى العالم الخارجى، وأن تلك الأبجدية تضيّع أوقات التلاميذ والطلاب وتحرمهم من التحصيل السهل للعلوم والفنون المتنوعة.

وإذا أردنا أن ننفذ قانون التعليم العام(الإلزامى) (قانون تعليمات عمومى) بهذه الأبجدية المعيبة الناقصة، يجب علينا أن نفتح آلاف المدارس، وأن نعد عشرات الآلاف من المدرسين، وأن نتحمل متاعب المزيد من السنين. وفى النهاية سيكون تعبًا لا طائل من ورائه ولن نحقق الهدف المنشود مطلقًا.

ما سبق قوله هو أهم ما قيل عن الترك وعن الفرس، سواء الداعون إلى إصلاح الأبجدية، أو إلى تغييرها إلى اللاتينية، أو اختراع الأبجديات الجديدة.

فما هو موقف عزّام المتخصص بل الرائد فى الدراسات الشرقية الإسلامية من المسألة بجوانبها المختلفة؟

كان أول تناول لعزّام لتلك المسألة ما كتبه عن النهضة الأخيرة فى تركيا، والتى تناولت العديد من الأفكار والنقاط، أذكر منها هنا فقط ما يتعلق بالأبجدية: بحكم الأسبقية فيما كتب. حيث كتب تلك المقالات فى مجلة الرسالة عام ١٩٣٥م، وشملت الأعداد من العدد ١٠١ حتى العدد ١٠٩.[١]

وخصص العددين السادس والسابع منها للحديث عن الترك والحروف اللاتينية والألفاظ العربية.

فقال:

- ١ -[*]

"كان الفرس يكتبون بالخط الفهلوى، وهو مشتق من الخط الآرامى القديم، والخط الفهلوى مبهم مشكل. قال الأستاذ براون أنه يصدق فيه ما قاله أحد الفرنسيين عن الكتابة إنها فن إخفاء الأفكار، يعنى أنه خط يخفى الألفاظ. ذلك بما تشابهت حروفه، وبما اشتركت الأصوات المختلفة فى بعض الحروف. وقد أدى هذا اللبس إلى ما لم يعهده التاريخ فى لغة أخرى. كان الكتاب يكتبون كلمة آرامية مكان كلمة فارسية خوفًا من اللبس، فإذا قرأوا نطقوا بالكلمة الفارسية غير المكتوبة، وتركوا الآرامية المكتوبة. وروى عن ابن المقفع أنه قال: إن فى اللغة الفهلوية ألف كلمة تقرأ ولا تكتب "بسرا" الآرامية ويقرءون كَوشت (لحم) بالفارسية، ويكتبون "لهما" الآرامية ويقرأون نان (خبز) بالفارسية".

---

(١) الرسالة عدد ١٠١ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩، اعتبارًا من ١٠ يونيه ١٩٣٥م حتى أغسطس ١٩٣٥م.

(*) الرسالة: ع ١٠٦ (١٥ يوليو ١٩٣٥)، النهضة التركية الأخيرة.

ولم تكن الألفاظ الآرامية مقصورة على ما يستعار من لغة إلى أخرى من الأسماء، بل كان فيها أفعال وضمائر وإشارات. وكانوا يلحقون بالكلمات الآرامية خواتم فارسية ... إلخ، ومن أجل صعوبة الخط الفهلوى ندر القارئون فى ذلك العهد.

فكان خيرًا للفرس أن كتبوا لغتهم بالحروف العربية لهذا، وللأخوة العامة التى أدخلهم الإسلام بها حين مدّ ظله على الأمم وأراد أن يمحو الفروق بين بنى آدم.

- ٢ -

وأما الترك فكان أكثرهم قبائل أمية لا تعرف قراءة ولا كتابة، وتسربت إلى طوائف منهم كتابات الأمم المجاورة، كتبت بعض الأسماء والألقاب التركية بالهيروغليفية الصينية فى القرنين السابع والثامن بعد الميلاد. ولما أريد تنصير الترك النازلين على بحر الخزر فى القرن السادس ترجم لهم الكتاب المقدس، وكتب بالحروف اليونانية. فى جهات الطونة، وكذلك كتبت التركية بالعبرية والنسطورية، والهندية، والسلافية، والأرمنية.... إلخ.

وقد أثر عن جماعات من الترك ضربان من الكتابة يمكن أن يعدا كتابة تركية. وهما الخط الأورخونى الذى دلت عليه الآثار التى عثر عليها حوالى نهر أورخون فى سيبيريا، والخط الأويغورى. والأول كتبت به تركية الشمال، وبالثانى كتبت تركية الجنوب.

فأما الخط الأورخونى فيرى أكثر العلماء أنه مشتق من الخط الآرامى القديم. وقد كتب به فئات من الترك من القرن الرابع الميلادى إلى القرن الثامن.

وهو مؤلف من ثمانية وثلاثين حرفًا، أربعة منها حروف متحركة، وثلاثة منها مركبة، ويوصل به غالبًا كلمتان أو ثلاث معًا. وأحيانًا يستغنى بالحرف من الكلمة فتكتب (ت) للدلالة على آت (فرَس)، و(ز) للدلالة على آز (قليل)، وهكذا.

ولا ريب أن هذا الخط لا يقاس بالخط العربى وضوحًا ويسرًا وكمالاً.

وأما الخط الأويغورى وهو أحدث الخطين، وأطولهما عهداً، وأوسعهما انتشارًا، فيظن أنه حل محل الخط الأول منذ القرن الثامن الميلادى، كتبت به أول ترجمة الكتب البوذية، وبقى بين الأويغوريين وغيرهم من الترك، بعد أن دخلوا فى الإسلام فكتبت به الدولة الخاقانية فى كشغر(٣٢٠- ٦٠٩هـ)، والدولة الجنكيزية، والايلخانية(٦٥٤ - ٧٤٤هـ)، ودولة آلتون أوردو فى قفجاق (٦٢١ - ٩٠٧هـ). وكتبت به بعض الصُغْدى و الصغْدى مأخوذ من الآرامية أيضًا، وهو أربعة عشر حرفًا يدل بعضها على أصوات مختلفة، وهو من اللبس والعسر بحيث لا يقاس بالخط العربى أيضًا.

فكان من نعم الإسلام أن بدل بهذين الخطين الخط العربى الذى صار خط الأمم الإسلامية جمعاء. ثم الآثار القليلة التى أثرت فى الخطين الأورخونى والأويغورى فى بقاع ضيقة، وموضوعات تافهة لا تقاس بما كتب باللغة التركية والحروف العربية فى العهد الإسلامى إذ أفاد الترك من الحضارة الإسلامية، ودخلوا فى جماعة المسلمين، وتمكن سلطانهم بينهم.

- ٣ -

والتركية العثمانية التى اختيرت لها الحروف اللاتينية أخيرًا لم تعرف فى تاريخها غير الحروف العربية، ولم تدوّن إلا فى ظل الحضارة الإسلامية بعد سبعة قرون من الهجرة.

دخل السلاجقة فى الإسلام ثم أقاموا دولتهم فى القرن الرابع وفتحوا بغداد سنة٤٤٧ هـ، وامتد سلطانهم على آسيا الغربية من أفغانستان إلى البحر المتوسط، ثم تقسم الخلف ميراث السلف فكان من الدول السلجوقية المتعددة دولة سلاجقة الروم، وهى التى نشأت فى الأناضول وما يصاقبه.

وكان الأدب الفارسى فى القرن الخامس قد ازدهر بجانب الأدب العربى، فأخذ السلاجقة حضارة الإسلام باللغتين العربية والفارسية. فكانت العربية لغة

العلم عند سلاجقة الروم والفارسية لغة الدواوين. وكان الأدب التركى مقصورًا على العامة، غير مدوّن.

ولما نشأت إمارة قرمان بعد منتصف القرن السابع صارت التركية لأول مرة لغة الدواوين وكتبت بالحروف العربية، وقد اشتملت هذه التركية المكتوبة على كثير من الكلمات العربية والفارسية.

- ٤ -

وكانت الكتابة التركية فى عهدها الأول تقارب الأسلوب العربى لا تكتب فيها حروف الحركة إلا قليلاً. ثم أثبتت حروف العلة والهاء للدلالة على الحركات دون تعميم. ثم انتهى الأمر فى العصر الأخير إلى أن كتبت حروف الحركة فى كل كلمة فصارت الكتابة التركية كالكتابة اللاتينية: كل حرف صحيح يليه حرف معتل للدلالة على الحركة.

فإذا قرأنا مثلاً فى ديوان سلطان ولد بن مولانا جلال الدين الرومى وهو أول ناظم بالتركية العثمانية نجد رسم الكلمات الآتية على هذ النسق: أل (هذا) كُرُد (يرى) بقمز (لا ينظر) كُنَش (الشمس) أُلرُ (يكون) أُيقُدا (فى النوم) أجَر (يطير)، فإذا قرأنا فى كتب المتأخرين وجدنا الرسم قد تغير على هذا النسق: أول، كَوروو، باقماز، كَونَش، أولور، أويقوده، أوجار.

وإذا قرأنا فى الكتب التى كتبت قبل ثلاثين سنة لا نجد حروف الحركة مثبتة فى كل مقطع. فإذا نظرنا فى الكتب التى كتبت من بعد وجدنا اطراد حروف الحركات فى مقاطع الكلمة كانت الكلمات الآتية ترسم كما ترى:

تميز (نظيف)، آرقداش (أخ)، كنيش (واسع)، دها (أيضًا)، كَبى (مثل)، قدر (مقدار)، دكل (ليس)، درين (عميق)، كَوزل (ظروف).

فصارت بعد كما يأتى:

تـه ميز (الهـاء علامـة الفـتحة الخفيفة) أرقاداش ، كَه نيش ، داها ، كَيبى ، قادار ، ده رين ، كَوزه ل.

وكان بوسع الكماليين أن يسيروا على هذه السيرة واصلين حديثهم مبقين على مـا دوّن أسـلافهم ، ولكنهم آثروا ، إنقـاذًا لخطـتهم ، أن ينـبذوا الحـروف العـربية ، وهـى الحـروف التـى يكـتب بهـا مسـلمو العـالم كافـة ، ولفقـوا هجـاء مـن الألمانية والإيطالية فبلغوا الكمـال المطلوب ولحقوا بالسـادة الأوروبيين. ولست أقول ما قاله أحد كبراء الفرس لأديب تركى يناظره فى الحروف اللاتينية : "إنكم معشر الـترك لـيس لكـم مـن آدابكـم مـا تفخـرون بـه فآثـرتم أن تسـدلوا علـيها سـترًا مـن الحـروف اللاتينية ، ولكـن لـنا مـن آدابـنا مـا نفخـر به ونحرص على قراءته فى كل جيل فلسنا نريد أن نغير كتابتنا". لست أقول هذا ففى الأدب التركى القديم ما هو جدير بالـرعاية. وقـد افتنّ الترك فى تجويد الخط حتى صاروا أئمة فيه ، وصار لهم من آياته ما يجدر بكل أمة أن تحرص عليه.

مسـألة الحـروف اللاتينية ليست فيما أرى ضرورة أو إصلاحًا ، ولكنها فتنة من فـتن تقليد أوروبـا التى ضربت الشرق عامة والمسلمين خاصة بالذلة والهوان. وقد بلـغ الأمـر أن يـرى بعـض الـناس أن تكـتب اللغة العربية أيضًا بالحروف اللاتينية ، فإذا قلت لهم فما تصنعون بأحد عشر حرفًا من الهجاء العربى ليست فى الحروف اللاتينية؟ قالـوا نضـع لهـا حـروفًا لاتينية بالتركيب أو النقط. فياسبّة الأمم ، وعار الأجيال ، وموتى النفوس ، لماذا تجعلون من أنفسكم واضعين مخترعين فى حروف اللاتينية ، ولا تكملون ما فى حروفكم من نقص ، وتصلحون ما بها من عيب؟. جرى الجدال بينى وبين واحد منهم فكان منه الحوار الآتى :

قلت : كيف تكتب ، خاشعًا وخاضعًا ، بالحروف اللاتينية؟

قـال هكـذا : Khash,I و Khad,I فأركـب H,K للدلالـة علـى الخـاء ، و H,S للشـين وأضـع مـدّا علـى A ، وأدل علـى العـين بالحـرف I مفصولاً عما قبله بشولة كما يفعل المستشرقون.

قلت: فلماذا كل هذا العناء؟ لقد اضطررت أن تنقط وتشكل فى الحروف اللاتينية، أترى هذا أيسر وأبين من خاضع وخاشع، قال: لا، ولكن الكلمتين بالخط العربى خاليتان من حروف الحركة، قلت: فضع كسرة تحت الشين والضاد. وهذا حسبك، بل لست فى حاجة إلى هذه الكسرة فوزن الكلمة يبين حركاتها. قال هذا صحيح فى هذا المثال، فما بال الكلمات الأخرى. قلت: صدقت فلم نتناول الموضوع على عمومه.

ـ ماذا تنقمون من الكتابة العربية؟

ـ ننقم منها أنها كتابة لا تبين عن الألفاظ، فهذه الصورة "حسن" تقرأ حَسَن، حُسْن، وحَسّن ....إلخ.

ـ قد كانت كتابتنا أول عهدها غير معجمة ولا مشكولة، مثلاً كانت الجيم والحاء والخاء ترسم بصورة واحدة فأعجم السلف الحروف فامتاز بعضها من بعض، ثم وجدوا الحرف الواحد فى أكثر حالاته مبهم الحركة، فشكلوا الحروف فتعينت الحركات، واستبانت الألفاظ، وكان للحروف صور غير صورها الحاضرة، مازال به الاختراع، والتجميل والتجويد حتى بلغت جمالها الحاضر، وتعددت الخطوط، وجعل لكل مقصد ضربا يواتيه، فكان خط الثلث والنسخ والرقعة وغيرها. فإن كنتم يا رجال القرن العشرين أحياء قادرين على الإبداع، أباة آنفين من المحاكاة، وإن تكن عقولكم غير سقيمة، وقرائحكم غير عقيمة، فانظروا فى كتابتكم، فإن رأيتم عيبًا فأصلحوه، وإن آنستم نقصًا فكمّلوه، ولا تكونوا فى عصور العلم ضلالاً، وفى نور القرن العشرين ضلالاً، أدخلوا فى الكتابة حروف الحركة إن شئتم، أو افعلوا غير ذلك أن استحسنتم، فأما أن تقولوا كتبت أوربا فنكتب مثلها فذلك ضلال العقول، وهوان النفس، والموت الذى لا يستره باطن الأرض.

"ثم لا تنسى يا أخى أن اللغة العربية لغة أوزان وصيغ، فليست كل كلماتها فى حاجة إلى الشكل، ولو اتسع المجال لأبنت لك أن الكاتب العربى يستطيع أن

يكتب سطورًا لا يحتاج فيها إلا إلى شكلات قليلة، وقد ضربت مثلاً من هذا فى مقدمة الشاهنامه. هب ما قلت صوابًا، فماذا ترى فى شكاوى أصحاب المطابع من كثرة صور الحروف العربية: للحرف صورة فى أول الكلمة وأخرى فى وسطها وثالثة فى آخرها، على حين لا يرى الطابع الأوربى أمامه للحرف إلا صورة واحدة.

- بل صورتين صغيرة وكبيرة.

- أجل، وهذه ميزة أخرى للحروف اللاتينية.

- هذه الشكاوى هى شكاوى أصحاب المال من كثرة العمال، كل صاحب مطبعة يود أن يديرها عامل واحد، ليأخذ كثيرًا ويعطى قليلاً، وأما القارئ فسيان عنده أن يكون الذين هيأوا الجريدة خمسة عمال أو مائة، ثم أخبرنى: ما الذى جعل للحروف اللاتينية هذه الميزة؟

- صور هذه الحروف، ثم فصل بعضها من بعض.

- قد كانت الحروف اللاتينية كلها موصولة ولا تزال توصل فى كتابة اليد، فما كانت المطابع استحسن الأوربيون أن يفصلوا بعضها من بعض، فما الذى يمنعكم أيها المقلدون أن تفصلوا حروفكم فلا يكون للحرف فى المطبعة إلا صورة واحدة؟

- هذا يبدو لى صوابًا، ولكنه عجيب غريب.

- أعجب منه أن نفكر فى كتابة لغتنا بالحروف اللاتينية. قد هانت علينا نفوسنا حتى صار التقليد يسيرًا قريبًا، والاختراع مهما قلّ عجيبًا غريبًا.

- لا تنس أن العلوم والمخترعات قربت بين الأمم وطوت المسافات بين أطراف الأرض. والأمم صائرة إلى التوحّد، فلماذا لا تكتب لغات الأمم كلها بالحروف اللاتينية؟

ـ أجل قربت العلوم والمخترعات بين الأمم، ولكن أوربا لا تعرف الأخوة بين الناس، ولا تزال تفرق بينهم بأتفه الأشياء وهى الألوان. والتوحيد الذى تريده أوربا أن تكون هى آكلة ونحن مأكولين. وهذا حديث يضيق عنه مقامنا الآن. وبعد فلماذا يكون توحيد الكتابة بالحروف اللاتينية ولا يكون بالحروف العربية؟ إن أردت أن تمتحن صدق الداعين إلى التوحيد فادعهم إلى استعمال الحروف العربية فستبلغ بهم الكبرياء والازدراء والسخرية، والعجب ألا يجيبوك بكلمة. ولن يكون ذلك لما عرفوا من فضل حروفهم على حروفنا، بل لا، هذه حروفهم وتلك حروفنا. وسيشترك فى السخرية من لم ير الحروف العربية قط. ثم هل اتفق الأوربيون على الكتابة بحروف واحدة؟ أذكر منذ ثلاث سنين جاء إلى أستاذ كبير (هو الدكتور طه حسين غالبًا) فى الجامعة المصرية كتّاب من جماعة فى أوروبا يدعونه إلى العمل معهم على تعميم الحروف اللاتينية فى العالم، فسألنى رأيى فيما يجيبهم به فقلت: إن كان لابد أن تجيب فأكتب إليهم أن ابدأوا بكتاباتكم فوحدوها، فإذا صار الروسى واليونانى والألمانى والفرنسى والإنجليزى والأسبانى ... إلخ يكتبون بحروف واحدة، واجمعوا فى كتابة هذه الحروف على نمط واحد فاكتبوا إلينا لنفكر فى الأمر.

وبعد، فاللغات يا أخى مهما أحكمت كتابتها، لا تؤخذ من الكتب وحدها بل لابد من التلقين. تعرف الكلمة بالسماع، ثم تدل الكتابة عليها دلالة تامة أو ناقصة. وكثيرًا ما تكون الحروف كالرموز أو العلامات يلمحها الإنسان فيعرف ما وراءها من لفظ قبل أن يكمل قراءتها، ويدرك اللفظ من صورة الحروف مجتمعة بل كأنه يفهم المعانى من النقوش دون توسيط الألفاظ، وإذا أسرع القارئ سلط عينيه على المكتوب وقصّر لسانه عن مجاراة عينيه، ثم يا أخى هل بلغت الحروف اللاتينية التى فتنتم بها درجة الكمال، وبرئت من العيوب؟ ألست تدرى الصوت الواحد تدل عليه حروف عدة، فصوت الكاف تدل عليه q, k, c ، والحرف الواحد يدل على أصوات مختلفة، فالحرف C يلفظ مرة ك وأخرى س، وS يكون س حينًا وحينًاز وهلم جرا.

والكتابة الفرنسية، وهى أدق الكتابات الأوربية، فيها عيوب كثيرة فاللفظ الواحد أو الألفاظ المتحدة فى الصوت تكتب بصورة مختلفة مثل: cret, pose, pot paus, palais, peau, pan, pan, chaux, choud, craie . فالصوت وحده لا يدل على رسم الكلمة. وفى الفرنسية من حروف لا تكتب ولا تلفظ أحيانًا ,كما ترى فى الكلمات السابقة.

وأنت تعرف الكتابة بالإنكليزية، ودلالتها على الألفاظ بالجملة لا التفصيل، وكم من حرف فيها يلفظ ولا يكتب، وآخر يكتب ولا يلفظ وحسبك مثل: Laugh, neighbour, daughter, wright Night, ولو قرأ قارئ الكلمات الإنكليزية كما تدل عليها حروفها ما فهم عنه أحد، وقل أن تسأل رجلاً أو صبيًا إنكليزيًا عن اسمه أو اسم الشارع إلا اتبع الاسم بهجائه علمًا بأن الصوت لا يدل على الهجاء. والإمبراطورية الإنكليزية، مع هذا لم تضمحل بهذه الكتابة، والأساطيل البريطانية لم تصطدم بهذه الحروف، وما رأيت مصريًا من العيّابين والطعانين فى الحروف العربية. البريطانية جرؤ مرة على عيب الإملاء الإنكليزية أو تنبه إلى عيوبه. وذلك بأن الحروف العربية لا تحميها إمبراطورية ولا أساطيل، نعوذ بالله من ضعف الهمم، وذل الأمم.

وأن للحروف العربية لمزايا عظيمة فهى أيسر كتابة. لا تملى على صبىّ كلمة فيخطئ فى كتابتها إلا الكلمات المهموزة. وهى كذلك أخصر رسمًا يستطيع كاتبها أن يساير خطيبًا أو مدرسًا فيكتب كل ما يقول، وهى فى جملتها أوضح من كتابة اليد فى اللغات الأوربية: قال لى مستشرق ألمانى كبير قد أتقن اللغات العربية والفارسية والتركية، وحذق كثيرًا من لغات أوروبا: "ما أشكل علىّ قط قراءة رسالة عربية وقد أشكل علىّ وعلى غيرى مرات كثيرة قراءة رسائل ألمانية".

هذا إلى ملاءمة الكتابة العربية للعين. قال لى طبيب كبير من أطباء العيون: إن الحروف اللاتينية بكثرة زواياها أشق على البصر من الحروف العربية.

إن مجال القول يا صاحبى واسع. وما بكم صعوبة الحروف العربية، ولكن الغرام بمتابعة أوربا، والخجل من التمسك بما أورثكم آباؤكم. ما بكم من علّة الحروف العربية ولكن علل الذلة والمهانة، واحتقار أنفسكم وتعظيم غيركم. إن المريض يكثر التحدث عن صحته، ويكثر اتهام الأطعمة و الأشربة، لما أحس السقم ظن أن الماء الذى شربه قد أضرّ به، أو أن الطعام الذى طعمه لم يلائمه. فكذلك أنتم تخلعون علل أنفسكم على اللغة أو الكتابة أو غيرهما، وإنما الداء الدوىّ فى أنفسكم، والعلة فى سرائركم...

ثم واصل الكتابة فى نفس الموضوع فى العدد الثانى من الرسالة.

تحت عنوان : **الحروف اللاتينية والألفاظ العربية.**

الحروف اللاتينية والألفاظ العربية[1]

"وقد عجل الكماليون فى إنفاذ قانون الحروف اللاتينية، واشتدوا فى ذلك لا يستثنون الكتب التى فى المطابع، قد طبع بعضها بالحروف العربية ولما يتم طبعها، فسارع بعض المؤلفين إلى إكمال كتبهم قبل الموعد المحدد، ودون الكمال المنشود. ويأس آخرون أن يتموا كتبهم قبل الأجل المضروب وكرهوا بل عجزوا، أن يكملوها بالحروف الجديدة فيجعلوها ذات خطين أعجمى وعربى، فوقفوا بها حيث وقف بهم القانون الجديد، وأعجب ما فى هذا أن أحد الأدباء الكبار كان يطبع معجمًا كبيرًا وأخرج منه مجلدين، ولم يسوّغ له القانون أن يكمله بالحروف العربية فيما يحتاج إليه من وقت، وعجز هو وعجز الفكر الإنسانى أن يكمل هذا المعجم بالحروف اللاتينية على ترتيبها بعد أن طبع معظمه بالحروف العربية على ترتيبها فبقى ناقصًا حائرًا بين القديم والجديد.

كأنما محا الترك العثمانيون من تاريخهم ستة قرون حين اختاروا للغتهم الحروف اللاتينية، فهل هم يعترفون، كما قال ذلك الأديب الفارسىّ، أن لهم تاريخًا لا

---

(١) الرسالة، عدد ١٠٧، (٢٢ يوليو ١٩٣٥).

يضيرهم أن يمحى منه ستة قرون؟ وليت شعرى هل لهم فى التاريخ غير هذه القرون الستة؟!

مَثل نفسّك صبيًا تركيًا ممن تعلموا القراءة بالحروف الجديدة يدخل اليوم جامع الفتح أو سليمان فينظر إلى أسماء الصحابة فلا يرى ما هى، وينظر إلى اسم الفاتح واسم سليمان القانونى فلا يدرك منهما حرفًا، وتصوّرْه فى بروسه فى أولو جامع (الجامع الكبير) الذى جعل الخطاطون الترك على مر العصور جُدُرُه معرضًا لبدائع الخط وفنونه. تصوّره ينظر إلى آثار أسلافه فلا يتبين منها شيئًا، ويود لو كتبت بالحروف اللاتينية، وتصوّره كذلك أمام كل أثر عظيم من آثار المسلمين، وتصّوره وقد شبّ وقوى فى الدرس والبحث يذهب إلى مكتبات استانبول فيرى من آثار أسلافه، وكل المسلمين أسلافه، أكداسًا لا يفقه منها حرفًا إلا بدرس خاص. ألست ترى هذا الناشئ مقطوعًا من تاريخه، غريبًا عن قومه، ألست تراه بيننا حرم ميراث آبائه، وجنى عليه سلفه وأوصيائه؟

"وقد ذهب مع الحروف العربية فن جميل بلغ فيه الترك الغاية، وتنافس فى تجويده سلاطينهم وأمراؤهم وكبراؤهم فأتوا فيه بآيات الجمال وحِلى التاريخ؛ وشدّ ما يهيج الحسرة أن تسير فى شوارع استانبول عند الباب العالى فترى الخطاط التركى الماهر وقد كسدت بضاعته... فكتب على مكتبه بالحروف اللاتينية Hatta، أى خطاط.

"وقد وصل الكماليون عملهم فى الحروف العربية باجتهادهم فى نبذ الكلمات العربية والفارسية. زعموا أنهم يريدون إنقاذ اللغة التركية من الكلمات الدخيلة، فما بالهم يخرجون كلمة عربية ليضعوا مكانها كلمة أوروبية؟ كانوا يسمون معهد الأبحاث التركية. "تركيات مؤسسة سى" فمحوها وكتبوا "تركيات انستيتوسى"، فلماذا آثروا كلمة Institu على مؤسسة، وهى كلمة هم واضعوها فى العربية وعنهم أخذها العرب..... كانوا يسمون الجامعة "دار الفنون" فسموها

Univer site، وكذلك وضعوا مكان معلم ومدرس وغيرهما من ألقاب الجامعة ألقابًا أخرى أخذوها من الألمانية، ومثل هذا كثير.

"كان لهم فى العام الماضى (١٩٣٢م) مؤتمر لغوى تكلم فيه أستاذ فى الجامعة فقال: إن بين العربية والفارسية والتركية علائق يجب الإبقاء عليها، فطرد من المؤتمر ومن الجامعة، تقديًا للحرية التى يتغنى بها الكماليون[1].

وسمعت أن حسين جاهد، وهو من الدعاة الأولين إلى العصبية التركية فى اللغة قال فى المؤتمر: إن إتقاء اللغة يتم على مر الزمان، ولا تصلح فيه الطَفْرة ـ فَشُتم وأُسكت وأوذى.

لو كان الأمر بحثًا وإصلاحًا لاتسع للآراء المختلفة، وأخذ فيه بالنظر والرؤيّة.

وقد سمعنا أن الفرس يريدون أن يحذوا حذو الترك فى هذا، ونحن لا نكره أن يأخذ الشرقيون بعضهم عن بعض، وأن يزول العداء القديم بين الفرس والترك، وينسوا ما تصفه الشاهنامه من حروب إيران وتوران، وما يحدّث به التاريخ من جلاد الصفويين والعثمانيين. أجل، أدعو الله أن يؤلف بين الأمتين، ولكن لا أحب أن يقلد بعضهم بعضًا فى هذه الترّهات، وتتقيّل إحداهما الأخرى فى هذه الضلالات.

نحن لا ننكر على الترك والفرس أن يؤثروا الكلمات التركية والفارسية على الكلمات العربية حين يحسّون الحاجة إلى ذلك، ويدعوهم إليه إصلاح اللغة وتجميلها، وإنما ننكر عليهم أن يفعلوا ذلك بغضًا للغة العربية، وإيثارًا لتقطيع الأوصال بين الأمم الإسلامية. إن فى الفارسية والتركية اصطلاحات علمية وأدبية كثيرة، بل تكاد تكون اصطلاحات الآداب والعلوم كلها عربية، وهذه الاصطلاحات هى من أعظم الروابط بين الأمم الإسلامية. وفى حذفها مفاسد كثيرة، منها أنهم يحرمون أنفسهم اصطلاحات وضعت واستقرّت، وتحددت،

---

(١) مجلة الكتاب: نوفمبر ١٩٤٥، ص٧٧ ـ ٨٤.

وأحكمها الاستعمال فى عصور متطاولة. وليس الاصطلاح على الكلمات، وخلق اللغة العلمية بالأمر اليسير؛ والثانى أنهم يباعدون بين اللغة العلمية القديمة واللغة العلمية الحديثة، وفى ذلك ما فيه من الفصل بين قديم الأمة وحديثها، والحيلولة بين المحدَثين وما كتب أسلافهم، وبين مؤرخى الآداب وفقه أطوار الأدب الأولى.

والثالث أنهم يقطعون الوشائج بين آدابهم والآداب الإسلامية الأخرى التى شاركهم أهلها فى تأليف حضارة واحدة، على حين يسعى الناس للتقريب بين الآداب واللغات ولاسيما اللغات العلمية، وهم أنفسهم من الساعين للتقرب إلى أهل أوربا أو الفناء فيهم. فلماذا الوصل من ناحية والقطع من ناحية أخرى، والتقرب إلى قوم والتباعد من آخرين؟ بل لماذا التقرب من الأعداء والتباعد عن الأصدقاء، وحب الأمم الأوربية وبغض الشعوب الإسلامية؟ هل لذلك من تأويل؟!

والرابع أنهم يفسّرون لغتهم على طلابها من الأمم العربية خاصة والأمم الإسلامية عامة، والأمم تسعى اليوم لتيسير لغاتها وتسهيلها على طلابها.

لست أقول هذا إشفاقًا على اللغة العربية، أو عصبية لها، فليس يحُسّ المتكلم بالعربية والقارئ فيها أن ألفاظًا منها مستعملة فى الفارسية والتركية أو غير مستعملة، ولا يهتم بهذا إلا حين يدرس الفارسية والتركية، ودراسة هاتين اللغتين من شؤونهما لا من شؤون العربية، وإنما يعنينى ألا تقطع الصلات بين أمم عاشت دهورًا متآخية متعاونة كأنها أمة واحدة. وإنما يدعونى إلى الجدال أن الأخوة الإسلامية، والجامعة الإنسانية، تنفر من هذه العصبيات القاطمة، والنعرات المفرقة.

وفى اللغة العربية كثير من الكلمات عرّبت وأدمجت فيها، وصيغت على أوزانها، وما يفكر العرب فى إخراجها من لغتهم؛ ثم ألا يرى الفرس أنهم إن

ذهبوا مذهب الترك فى أمر اللغة ثار عليهم الأفغان والهند المسلمون وأهل كشغر وما وراء النهر ثورة أدبية فنبذوا إليهم لغتهم التى اتخذوها لسانًا أدبيّا، ثم اجتهدوا فى إخراج الكلمات الفارسية من لغتهم؟

أضرب لإخواننا مثلاً أوربيّا، فإن الشرقيين لا يعرفون الحق إلا إذا أشهدت به "ماركات" من أوربا:

"هذه اللغة الإنكليزية، وهى ما هى انتشًارا بين الأمم، وذيوعًا فى الشرق والغرب، فيها كثير من الألفاظ اللاتينية والجرمانية، ومعظم اصطلاحاتها فى الآداب والعلوم لاتينية. وقد وقع ما وقع بين الأمم اللاتينية والإنكليزية من حروب متمادية، وما فكر الإنكليز فى أن يجمعوا الكلمات اللاتينية وينبذوها إلى اللاتين كراهية لهم، أو عصبية للغتهم، وما فعل القوم هذا، لأن لهم من جلائل الأعمال ما يشغلهم عن هذه السفاسف".

القوم يذهبون مع الحياة مذاهبها، ويتوسلون لها بخير وسائلها، فلا تتسع أوقاتهم للمناقشات فى الحروف والألفاظ، ونحن نغمض أعيننا عن أواصر تجمعنا، وآلام وآمال تقرب بيننا، ونقلب تاريخنا لنعثر على عداوة قديمة، أو حرب ذهب الزمان بذكراها وآثارها لنخلق منها قطيعة جديدة، ونثير بها خصومة شديدة. كاد الإنكليز والألمان يتفانون ويفنوا الأمم معهم خمسة عشر عامًا؛ وهم الآن يمدون أيديهم للتعاون! فأين يُذهب بكم أيها الشرقيون، وإلى أين تُساقون أيها المسلمون؟ ذلك كلام واسع الجواب، بعيد الأغوار، لا يتسع له هذا المجال. ولعل لى إليه عودة إن شاء الله".

المجمع وتيسير الكتابة العربية:

عنى المجمع (مجمع فؤاد الأول) بمسألة تيسير الكتابة العربية وجعلها صالحة لضبط النطق بألفاظ اللغة، فألفت فى الجلسة الحادية والثلاثين من الدورة الخامسة المنعقدة بتاريخ ٢٣ من يناير ١٩٣٨م، لجنة من حضرات الأعضاء المقيمين فى القاهرة لدراسة هذا الموضوع.

لم تقدم اللجنة للمجمع شيئًا حتى كانت الجلسة المنعقدة فى ١٩ من ديسمبر ١٩٣٨، عرض بعض حضرات الأعضاء رغبتهم فى أن يدرس المجمع تيسير رسم الكلمات، حين عقد المؤتمر سنة ١٩٤١م اقترح حضرة صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا فى الجلسة الثانية يوم ٢ من فبراير ١٩٤١ وضع طريقة لرسم الكتابة العربية تقى القارئ اللحن والخطأ. فى جلسة ٨ فبراير ١٩٤١م دارت مناقشة مستفيضة فى هذا الموضوع وانتهى المؤتمر إلى قرار بإحالة دراسة تيسير الكتابة إلى لجنة الأصول التى ألفها فى تلك الجلسة. ثم عينت لجنة الأصول لجنة فرعية لبحث الموضوع وتقديم تقرير بما ترى. وتلقت اللجنة من جمهور الباحثين مقترحات مختلفة يرجع أغلبها إلى اختصار بعض الحروف من الكلمات كالألف الممدودة فى هذا، والألف فى أداة التعريف، أو لام التعريف الشمسية، أو ما يخص رسم الهمزة فى أوضاعها المختلفة، أو رسم الألف المقصورة.

ثم أخذ صاحب العزة على الجارم بك فى بحث الوسيلة التى بها يجعل مشكلات الحروف الدالة على الحركات متصلة بالحروف ذاتها، وقد استعان فى بحثه ببعض المختصين من الخطاطين العارفين بأصول الطباعة.

وفى إبريل سنة ١٩٤١م قدم على الجارم إلى لجنة الأصول مشروعًا قُدّم له تقرير ينص فيه على طريقة الشكل المعروفة، ويقترح وضع زوائد وعلامات مخصوصة لشكلات الحروف على اختلافها، فاشتغلت لجنة التيسير الفرعية بتحسين هذا الموضوع.

فى جلسة الثالث من مايو ١٩٤٣م اقترح حضرة صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا إبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية للتمكن من الكتابة ومن النطق صحيحين، فأحيل الاقتراح إلى لجنة الأصول.

فى منتصف نوفمبر ١٩٤٣م عرض مشروع على الجارم منقّحًا على لجنة الأصول، فاعترض عليه عبد العزيز فهمى والأستاذ إبراهيم حمروش بمذكرتين

رد عليهما على الجارم بمذكرة. وانتهى الرأى إلى تقديم مشروع على الجارم إلى مؤتمر المجمع الذى ينعقد فى يناير ١٩٤٤م.

وفى جلسة ١٧ من يناير ١٩٤٤م من ذلك المؤتمر اقترح صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية.

وفى جلسة ٢٤ من يناير ١٩٤٤م شرح عبد العزيز فهمى اقتراحه، واستغرق هذه الجلسة وجلسة ٣١ من يناير ١٩٤٤م، ولإمكان المناقشة فى هذا الاقتراح رأى المؤتمر أن يطبع بيان ويوزع على الأعضاء وقد طبع فعلاً، وجرت المناقشة فيه بجلستى ١٩، ٢١من فبراير سنة ١٩٤٤م.

كما نوقش مشروع على الجارم فى جلسات ٥، ٧، ٩ من فبراير ١٩٤٤م، وبعد أن فرغ المؤتمر من نظر كل من هذين المقترحين قرر طبع كل منهما وما دار فى شأنه من مناقشات، وعرض ذلك على البلاد العربية. ووضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية.

تحدث عبد العزيز فهمى فى مقترحه عن اللغة العربية، وبعض صعوباتها وأوضح أن الرسم أهم أسباب مرض العربية، ووجوب تغيير رسم الكتابة العربية، وترتيب أحرف الهجاء، وحروف الهجاء جميعًا وحروف الحركة، وبعض الملاحظات، والمقارنة بين هذه الطريقة وطريقة تيسير الكتابة مع التزام الأحرف العربية، ثم تحدث عن مزايا استعمال الحروف اللاتينية، واختتم مقترحه بكلمة أخيرة جاء فيها:

"١ ـ إنى أتحسس ـ وإن كنتم متبينين صحة اقتراحى وأنه هو الطريقة الوحيدة التى تُخدم بها العربية وأبناؤها ـ إلا أنكم تقفون أمامه متهيبين أن ينسب لكم الأخذ به.

٢ـ أتحسس هذا مما أراه الآن فيكم من الإمساك عن الاعتراف بصدق شىء من المزايا التى بينتها، هذا الإمساك الذى ليس فى نظرى سوى محاكاة لمن ينكر ضوء

الشمس وهى طالعة ـ أتحسسه وأتحسس علته أيضًا عند الحاضرين منكم والغائبين.

واستمر يَعُد ملاحظاته على مقترحاته والأعضاء من الفقرة ٦١ حتى ٧٣"[١].

كتب عبد العزيز فهمى بعد ذلك كتابًا تناول فيه من انتقدوه، اشتمل على قسمين: تناول القسم الأول ثلاثة مطالب: قدم فى الأول ما جرى بالمجمع فى مسألة رسم الكتابة. كيف اقترح لها الحروف اللاتينية، وقدم فى الثانى تفصيلاً لجميع ما وصل إلى علمه من الاعتراضات على اقتراحه، ثم رده على كل منها. وقدم فى الثالث نماذج لخير الطرق التى اقترحت لتعديل الرسم مع استبقاء الحروف العربية.

أما القسم الثانى فقد كان فيه صورة حرفية لاقتراحه الذى قدمه إلى المجمع فيقول:

"إن هذا الكتيب تم إعداده للطبع وطبع فعلاً فى أواخر يونيه ١٩٤٤م وأخذت هى فى عملها فى غضون شهر يوليه. وحينئذٍ كانت الاعتراضات اثنين وعشرين فقط. ثم نشرت مجلة الثقافة فى أعدادها الصادرة فى ١٨، ٢٥ يوليو وأول أغسطس سنة ١٩٤٤م اعتراضًا آخر للأستاذ يوسف العش من دمشق فرأى الرد عليه أيضًا".[٢]

كان رده هذا دافعًا لصديق الأستاذ يوسف العش الذى كتب ردّا على عبد العزيز فهمى. تحت عنوان :"كتاب مرفوع إلى حضرة صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا"[٣]...

قال فيه:

"وقد قرأت كتاب سيدى الباشا الذى نشره الباشا فى ١٥ من أغسطس سنة ١٩٤٤م باسم الحروف اللاتينية لكتابة العربية: وعجبت لأسلوبه الحلو،

---

(١) محاضرات جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجمع فؤاد الأول).

(٢) عبد العزيز فهمى: المقدمة أ، ب، ج، د (الحروف اللاتينية لكتابة العربية).

(٣) مجلة الثقافة، عدد ٣٠٦، فى السابع من نوفمبر ١٩٤٤.

وحيويته الفذّة، ونشاطه العجيب، وغيرته التى لا ضريب لها؛ وقد أدهشنى ما رأيته فى هذا الكتاب من حماسة مدهشة، وإخلاصه للفكرة التى يدعو إليها، على الرغم من كثرة المعارضين وقوة حجتهم.

لقد سعى الباشا الجليل إلى هدمها، وهدم بالفعل قسمًا كبيرًا منها هدمًا أظن أن أصحاب الردود لا يقوون على الوقوف أمامه مرة ثانية.

ولست آخذ على الباشا ـ أيده الله ـ شيئًا إلا شدة لهجته وتهكمه فى بعض المواضع. وأظن أن هذه اللهجة التهكمية قد جعلت بعض الناس يميلون عنه"

هذا الكتاب الذى طبعه عبد العزيز فهمى باشا عن اقتراحه المقدم إلى مجمع اللغة العربية (مجمع فؤاد الأول) بأن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية.. أجاب فيه الباشا المعترضين على رأيه.

علق عزّام على هذا الكتاب حين سمع به بقوله: " جدير بكل ذى رأى أن يدفع عنه حتى يتبين للناس أنه مصيب أو يتبين له هو أنه مخطئ".. يقول عبد العزيز فهمى باشا: "بعد الاحتفال ـ مؤتمر المجمع ـ بزمن وجيز علمت أن أحد حضرات الأساتذة بالكلية (كلية الآداب) سيلقى محاضرة فى الخط العربى وعيوبه ومزاياه[1] فشاقنى الاستماع إليه..

إيقانًا بأن الكلية وأساتذتها خير من يشخصون الداء ويصفون الدواء....

انتظرت بفارغ الصبر إتمام تلك المحاضرة التى استغرق نشرها شهرًا كاملاً. بيد أنى كلما برأت جزءًا قلت لعل فيما بعده ما يغنى ويقنى. فلما تمت الأجزاء نشرًا أردت تحصيل ما فيها فصفرت يدى"[2].

وقد ورد رد عزّام على ما خصه به عبد العزيز باشا فى مقالين بمجلة الرسالة[3]، أضع خلاصتهما بين يدى القارئ.

---

(١) هكذا وردت فى كتاب عبد العزيز فهمى باشا ص ٥٩.

(٢) عبد العزيز فهمى باشا من ص ٥٨ حتى ٧٣.

(٣) عدد ٥٨٧ ـ ٥٩١، اعتبارا من ٢ أكتوبر ١٩٤٤ـ ١٣ أكتوبر ١٩٤٤.

قال عزّام[1]:

"ثم أرسلت إلىّ نسخة منذ عشرة أيام، فتعجلت النظر فيه آملاً أن أجد جدالاً يمليه الإنصاف، وتحوطه التؤدة ويقصد إلى الغاية على طريق مستقيم لا يجور به الهوى، ولا تحيد عنه العصبية، ولا يقطعه الكلام فى غير الموضع على خير وجه".

ثم عبرت الكتاب فإذا المؤلف يعدد فى القسم الثانى من كتابه ثلاثة وعشرين عنوانًا متتالية على العدد، ويحاول فى كل عنوان أن يذكر اعتراضًا ويردّه، "ولو استقام البحث على هذه الطريقة لاستوعب الاعتراضات كلها، وأجاب المعترضين جميعًا غير معرّج على الأشخاص، ولا هانوا عن الجدال فى الرأى إلى الاستهزاء بصاحبه والافتراء عليه". ولكن الأستاذ عرض فى بعض هذه العنوانات لذكر أشخاص بأوصافهم أو بأسمائهم[2].

كان العنوان: "الحادى والعشرون" خاصًا بالرد على الدكتور عزّام. وكان رد عزّام على النحو التالى مختصرًا:

"وأنا أقدّم قبل مجادلته فيما ادعى، أنى كتبت فى هذا الموضوع قبل تسع سنين حينما نشرت فى مجلة الرسالة مقالاتى عن النهضة التركية الأخيرة، وأنى عنيت به منذ غيّر الترك العثمانيون كتابتهم. وحادثت فيه وجادلت فى مصر والبلاد العربية وتركيا وأوربا قبل أن يُختار الأستاذ عضوًا فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية(مجمع اللغة العربية حاليّا).

وقد اخترت موضوع محاضرتى: " الخط العربى: مزاياه وعيوبه". قبل أن ينشر تقرير الأستاذ الذى قدمه إلى المجمع.. ولم يكن سعادة الأستاذ يشغلنى كثيرًا وأنا أكتب محاضرتى ..، وإنما عمدت إلى البحث الصرف غير مبال بالأشخاص

---

(١) الرسالة، عدد ٥٩٧ ٢، أكتوبر ١٩٤٤.

(٢) عزّام. الحروف اللاتينية لكتابة العربية: الثقافة عدد ٥٨٧ ٢ أكتوبر ١٩٤٤، ص ٨٤٤.

لاسيما سعادة الكاتب الذى لم يبتدع هذه البدعة بل تبع فيها دعاة هم أولى أن يجادلوا فيها.

ولكن المؤلف توهم نفسه إمامًا فى هذه الدعوة وحسب كل محاول فيها يعنيه لا يعنى غيره، وظن كل مخالف عدوًا وأن العدو ينبغى أن يُحارب، وأن الحرب تبيح كل عدوان. ويعلم الله أنى حين قرأت ما كتب الأستاذ، عزمت على ألا أجادله يأسًا من جدوى الجدال الذى يُبتدأ على هذه الطريقة..

وقلت: كيف أجادل كاتبًا حديد الطبع، تحمله الحدّة على التسرع، ويُنسيه التسرع التثبيت، من نسى التثبت كان حريًا أن يسير على غير الطريق إلى غير غاية، جديرًا بأن يقول غير سديد.. توهم الأستاذ لى صفتين أحسب أن وصفى بهما لا يكون إلا ميلاً مع الهوى، وجورًا مع الغضب، ورجمًا بالأوهام، ثم أشار علىّ بعض الإخوان بالإجابة.

وأبدأ بمجادلة الأستاذ فى الخطة التى ارتضاها لنفسه، وأقول غير متردد أنها خطة جائرة منكرة تكفل لصاحبها ألا يهتدى إلى صواب، ولا يبتعد عن الضلال، خطة تُعنى بأصحاب الآراء أكثر مما تُعنى بالآراء، ثم لا ينال أصحاب الآراء من هذه العناية إلا الاستهزاء والبغى والافتراء...

"وعرضت لعيوب الكتابة الأوروبية، وبينت من شناعتها ما لا تذكر معه عيوب كتابتنا. ثم قلت أن الكتابة الأوروبية محمية بالأساطيل والطائرات والفتنة والهيبة اللتين تأخذاننا من كل جانب.

وهى كلمة حق تجمل ما نحن فيه من افتتان بكل ما يأتى من أوروبا وازدراء لكل ما عندنا.

وما قصدت بهذه الكلمة الأستاذ عبد العزيز باشا ولا جماعة فى مصر، ولا المصريين وحدهم، ولا البلاد العربية فحسب، بل أردت بها ما يعم أقطار الشرق كلها من هذه الفتنة، فأثارت هذه الكلمة ثائرة الأستاذ. وقد اعترف هو بهذه

الفتنة حين قال وهو آخذ بمخنق الكاتب الذى أرسل إليه مقالاً بالبريد. قال وهو يعرب عن إكباره، وإعجابه بالقوانين التى أخذناها عن أوروبا:

"اعلم مُعلمًا أن العقول التى كشفت لك عن عجائب الكهرباء، وهيأت للناس التلغراف واللاسلكى، كم كشفت لك عن معجزات الطيران الذى طبّق عليك وعلىّ وعلى جميع الناس أرجاء السماء ـ هذه ـ العقول لها أخ من أبويها يشتغل إلى جانبها بمسائل القانون ويسمو فى بيئته إلى ما يسمو إليه أخوته الآخرون، ولكنك لا تراه لأن نظرك قصير"[1].

ولا أدرى لماذا ثار الأستاذ فقال عنى: (هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوبًا سُداه، الوطنية اللفظية ولحمه أناشيد أرباب الحناجر) ومضى يكرر هذا المعنى إلى أن قال: "بل لعلى واهم فيما أخشاه على الأستاذ من إمكان حمل عباراته على معنى تعمده مسابقة أرباب الحناجر فى حلبة الوطنية اللفظية"[2]. أليس قياس القانون على الطائرات ونحوها هى الفتنة التى ذكرتها فغضب الأستاذ... فقال عنى: "هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوبًا سداه، الوطنية اللفظية، ولحمه أناشيد أرباب الحناجر".

وجوابى أن الله يعلم وأصحابى وتلاميذى يعلمون أنى لست من أولى الوطنية اللفظية، ولا من ينشدون أناشيدها ويكدّون حناجرهم فيها، بل كل صلتى بالوطنية العمل الصامت الدائب الذى لا يبغى من الناس جزاءً ولا شكورا، وأن اتهام مثلى بهذا جدير بأن يلقى الشك فى كل ما يزعم المتهم وينفى الثقة عن كل كلامه..

ثم وصفنى وصفًا يناقض الوصف الأول فى معناه، ويوافقه فى أنه باطل مثله.. وصفنى بأنى رجل متوقر متزمت، ثم لبث يشرح فى صفحتين معنى

---

(١) المصدر السابق ص ٨٨٥.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

التزمت.. ثم ليدلنى القارئ على صلة عاقلة أو مجنونة بين هذا وبين الحروف اللاتينية واللغة العربية.....

وأنا أنشد الأستاذ الله الحق أن يسأل نفسه هادئًا إن استطاع: أهذه الأوصاف تنطبق علىّ أو عليه خِلقة وخلقًا. ثم أنشده الله الحق ألا يشعر بشىء من التناقض والتهاتر والتهافت فى أن يصف إنسانًا فى مقال واحد بأنه من أرباب الحناجر وأناشيد الوطنية اللفظية، وبأنه متوقر متزمت، ثم أنشده الله الحق مرة أخرى: أحسب نفسى صادقًا حين وصف بهذه الأوصاف رجلاً يعلم الله وكل من يعرفه من الناس أنه أبعد خلق الله عنها"

واستمر عزّام فى نقده ما ورد فى كتاب عبد العزيز فهمى عنه إلى أن قال: "وفى المقال الآتى أناقش الأستاذ فى الكلمات القليلة التى كتبها فى الموضوع آسفًا أنه أخرجنى عن البحث كارهًا مشمئزًا ولا ذنب للمكره، وللناس والأقلام محن تكره فيها على مالا تود وتكلف ما يشق عليها".

وقال عزّام فى رده على الجانب المتصل بالموضوع[1]....

"ذهب الأستاذ عبد العزيز باشا فهمى مذهبًا عجبًا فى نقد محاضرتىّ اللتين نشرت خلاصتهما فى مجلة الثقافة.

وإجمال هذا المذهب العجيب أنى كلما ذكرت مقدمة يقتضيها سياق الكلام قال هذا أمر معروف، وكلما عرضت لمزية من مزايا الخط العربى إيفاء لبحث فى "الخط العربي: مزاياه وعيوبه". قال هذا ليس فى الموضوع، فالموضوع فى رأى الأستاذ هو الاعتراف بقصور الخط العربى وسقمه والعدول عنه فورًا إلى الخط اللاتينى، هذا هو الموضوع. فمن جادل فيه فقد حاد عن الموضوع.

بينت حاجة البشر إلا الإبانة عما فى أنفسهم ونقلت جملة من كلام الجاحظ فى هذا فقال الأستاذ: "آمنا وصدّقنا لا لأن الجاحظ أو غيره قاله. بل لأن هذا

---

(١) الرسالة، عدد ٥٩١/١٣ أكتوبر ١٩٤٤، ص ٩٩٤.

ضرورة ماسة واقعة يدركها كل إنسان... وبينت تاريخ الخط فى العالم وتسلسل الخطوط من الخط النبطى إلى الخط العربى، فاستبان أن الأصل القريب للخط العربى هو الخط النبطى. فقال الأستاذ (هو تقرير يستطيعه كل إنسان يعرف لغة أجنبية فيطلع على معجم من معاجمها المطولة)".

وقلت: إن الخط العربى خط أمم منتشرة فى أصقاع مترامية وأن هذه الأمم على اختلاف لغاتها، أخذت هذا الخط فزادت فيه ما احتاجت إليه وأحكمته وجمّلته. فقال سعادة الأستاذ: "هذا التقرير معروف الموضوع عند الجميع... فهو هنا مجرد حشو وتزيّد لا غناء فيه".

كذلك ادعى الأستاذ فى مسائل أخرى تحتاج إلى بيان أو يحتاج إليها الاستدلال: أنها معروفة ذكرها حشو وتزيّد .. أليس الاستدلال يا سعادة الأستاذ هو الاستعانة بالمعروف على معرفة المجهول؟!

وقلت: إن من مزايا الخط العربى أن السامع يستطيع أن يكتب به ما يسمع دون عناء. ولا كذلك الخطوط اللاتينية؛ فإن سامع الكلمة من بعض لغاتها لا يستطيع أن يضبط كتابتها بالسماع، ولابد أن يراها مكتوبة أو يعلم كتابتها ومقصدى أن أبين مزية من مزايا الخط العربى واللغة العربية، وموضوعى هو تبيين المزايا والعيوب.

فقال الأستاذ: إن حضرة المحاضر فى هذه النقطة ينسى نفسه تمامًا.. إن أحدًا لن يشك لحضرة المحاضر ولا لغير حضرة المحاضر من أن الكاتب بالعربية لا يستطيع أن يكتب ما يسمعه. ما شكا أحد هذا إليه قط لأن أحدًا - لا يكاد يخطئ فى رص حروف النغمات بعضها تلو بعض على الترتيب الذى يسمعه.

إلا أن ذكر الأستاذ أن هذه الكتابة التى تسهل على السامع يشكل على القارئ قراءتها ... إلخ. فهل أشكال القراءة وهى مسألة أخرى ينفى هذه المزية مزية السهولة واليسر على الكاتبين؟ أقول الكتابة العربية سهلة على الكاتب. فيقول

الأستاذ: لا تقل هذا فإنها صعبة على القارئ فهل هذا جدل يساير أدب البحث والمناظرة؟

وقد رأيت ـ وهو رأى لم أسبق إليه وإن عدّه الأستاذ معروفًا عند الناس أو فى غير الموضوع ـ أن حذف حروف الحركات من الكلمة ملائم للغات السامية، والعربية خاصة.

ورددت هذا إلى اشتقاق هذه اللغات، والتفريق بين الأصول والزوائد فيها، وقلت لو كتبت الحركات أثناء الكلمات لاضطرب أصل الكلمة وبان فى صور مختلفة، وضربت مثلاً مادة كتب وقلت لو كتبناه كاتابًا يكتوبو فى الماكتابى، كيتابن"بدل: كتب يكتب فى المكتب كتاباً" لالتبست مادة الفعل. وهو أصل الاشتقاق والعمدة فى التصريف، وظهرت في صور تلبس الأصلى بالزائد، ولهذا كان خيرًا أن تشكل الكلمات العربية شكلاً خارجًا عن بنية الكلمة.

قلت هذا ! فقال سعادة الأستاذ ماخلاصته:

إن اشتقاق العربية وتغيير المادة فيها تغيرًا كثيرًا يجعلانها أولى بالضبط من اللغات الأخرى التى لا تتغير موادها أوالتى يقل فيها التغيير... إلخ.

وما كانت دعواى أن العربية باشتقاقها غنية فى الشكل ؛ بل كانت الدعوى أن الشكل الذى وضعه الخليل بن أحمد أقرب إلى طبيعة العربية من إدخال حروف الحركات فى ثنايا الكلمة.

فنسى الأستاذ هذه الدعوى وذهب يجادل فى غيرها. ثم ختم كلامه بقوله:

"وعلى كل حال، فإن الكلام فى هذا الصدد هو كما ترى من قبيل الأدلة الخطابية المتخاذلة التى إذا عصرتها لم تجدها شيئًا، ولم تدرك لها أية فائدة فيما نحن فيه"، ولست أدرى كيف سمى الأستاذ الاستدلال بالاشتقاق والتصريف والحروف والحركات أدلة خطابية؟!

إنها أدلة برهانية واضحة، ليست من قبيل الخطابيات. ولكن الأستاذ يجادل كما يشاء، ويدعى على مجادليه ما يشاء، ويسمى الأشياء كما يشاء؛ فكيف يستقيم معه جدال؟!

ولم أرد الاستقصاء فى هذا الجدال ولكن التمثيل. وحسبى ما ذكرت. إنى أعترف أنى عاجز عن الجدال على هذه الطريقة، بل الجدال على غير طريقة".

وانتهى الجدال بين عبد العزيز وعزّام، ولكل منهما من يؤيده أو يعارضه وانتهى الأمر كله بعد ذلك .. وإكمالاً للفائدة أقدم للقارىء ما تناوله عزّام فى محاضراته عن "الخط العربى".

مع بداية العام الجامعى ١٩٤٣-١٩٤٤، اختار عزّام موضوع "الخط العربى مزاياه وعيوبه" موضوعًا للمحاضرات العامة التى سيلقيها هذا العام.

قبل أن ينشر تقرير عبد العزيز فهمى الذى قدمه إلى المجمع[١]. تحدث عزّام عن بداية اختراع الخط، وكيف حاول الإنسان منذ عقل البيان، أن يبين عن مقاصده باللفظ والإشارة، وأن يثبت معانيه فى صُور شتى أبقى من اللفظ تبقى ذكرى له حين الحاجة، أو بلاغًا لغيره ممن بعُد عنه، أو علامة على ما يريد أن يميزه من حيوان أو أرض أو متاع.

كما تضمن حديثًا مفصلاً عن الخطوط المختلفة من: الفينيقى والمصرى والخط العربى اليمنى، والخط الآرامى، والنبطى والخط العربى الإسلامى، ثم تناول بالتفصيل مزايا الخط العربى وعيوبه. ونشر محتوى محاضراته فى ثلاث مقالات بمجلة الثقافة[٢]. ثم نشر فى العدد رقم ٢٨٨ من نفس المجلة ترجمة لمقال كتبه الكاتب التركى "بيامى صفا" فى صحيفة الجمهورية التركية (جمهوريت) عام ١٩٤٠م، أراد عزّام بترجمتها ونشرها فى مجلة الثقافة[٣]." أن تكون حجة لاحقة بمقالاته التى كتبها عن الخط العربى "اعتبارًا من العدد ٢٧٥ من الرابع من شهر إبريل ١٩٤٤[٤].تحت عنوان: "الخط العربى مزاياه وعيوبه". بدأت الترجمة بقوله: قال الكاتب:

---

(١) الرسالة، عدد ٥٨٢، فى ٢ أكتوبر ١٩٤٤.

(٢) مجلة الثقافة الأعداد ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٧٨ ، اعتبارًا من ٤ إبريل ١٩٤٤م حتى ٢٥ إبريل ١٩٤٤، والتاريخ يؤيد ما ذكره عزّام مخالفًا لما أورده عبد العزيز فهمى.

(٣) مجلة الثقافة، الأعداد ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٧٩، ٢٧٨، بدأ فى ٤ إبريل ١٩٤٤م وانتهت فى ٢ مايو ١٩٤٤.

(٤) مجلة الثقافة، عدد ٤ يوليو ١٩٤٤.

يسأل قارئنا:

"ابنى الصغير فى سن الحادية عشرة، ولا يعرف الحروف العربية، وأريد أن أعلمه إياها تعليمًا خاصًا، فماذا تقولون؟.. يجيب:

نعم هناك سبب قوى لتفضيل من يعرف الحروف العربية فى أعمال الدولة والأعمال الخاصة، فإن معرفة هذه الحروف لابد منها لقراءة الأوراق، والمضاميم[1]، والرسائل ولا يعرف إلى متى يستمر هذا الحال.

والقانون لم يحرّم قراءة الحروف العربية، بل حرّم كتابتها، فالأب الذى يريد إجادة تثقيف ولده يستطيع أن يعلمه الحروف القديمة.

ولهذا الأمر جانب عملى، وجانب ثقافى؛ إن محالاً على الناشئ التركى الذى لا يعرف الحروف العربية، أن يتعمق فى تاريخ الترك وآداب الترك إلى أن يبلغ مستوى وسطا. هذا الشاب لا يستطيع أن يقرأ نعيما والبجوى وجودت باشا (هذه أسماء ثلاثة من كبار المؤرخين الترك).

ولا يستطيع كذلك أن يقرأ المخطوطات ولا النقوش على الأحجار، ولا يستطيع أن يقرأ كتابًا واحدًا من خمسة وأربعين ألف كتاب مطبوع.

وإذا جاوزنا التاريخ والأدب فكم نعدّ من الكتب التى لابد من قراءتها لمن يحاول الثقافة المتوسطة وهى لم تنشر بالحروف الجديدة. والشاب الذى لم يقرأ أثرًا ما بين آثار يعقوب قدرى، وفالح رفقى، وخالد أديب، وآثار الأدباء من ضيا باشا حتى عبد الحق حامد، إن هذا الشاب لا يصعد إلى مستوى يؤهله لأن يقرأ جريدة يومية أو مجلة أسبوعية، فلابد لفهم الذين يكتبون فيها الإلمام بالثقافة التى نشّأتهم.

---

(١) شرحها عزّام فى الهامش بقوله: جمع اضمامة، وهى الدوسيه، وكانت تستعمل فى هذا المعنى فى الدواوين المصرية.

ماذا يقرأ الناشئ الذى لا يعرف الحروف العربية؟

هذا جوابى: مهما تكن سنه فلابدّ من أن يتعلم مع الحروف اللاتينية الحروف العربية بصفة خاصة. تلكم هى الوسيلة الوحيدة، وذلكم رأيى. فسمنى محافظًا قبل أن تفهم كلمة واحدة ما كتبته آنفًا، فإنى أقبل هذه التسمية.

إن المحافظ لأعلى جدّا من الجاهل الذى لا خبر عنده من الآداب والتاريخ؛ إن التعصب والرجعية من أخوات الجهالة لا المعرفة، وأفظع الرجعيات الإيمان بغير هذا.

علق عزّام على هذا بقوله: وقد عالج الكاتب موضوعًا يعده الترك من معالم ثورتهم، ويحرمه القانون فى بلد لايزال الحكم العسكرى غالبًا فيه، فكيف لو أبان الكاتب عما فى نفسه طليقًا من كل قيد، قادرًا على أن يقول ما يشاء؟!

إن القوم قد جربوا فانتهت تجاربهم إلى هذه النهاية، وانتهت إلى أنهم لا يجدون بدا من تعلم الكتابة العربية ليقرأ ناشئتهم أدبهم وتاريخهم، فهل فكر الداعون إلى تغيير الكتابة العربية فى هذا الموضوع؟! مع أن الآداب التركية لا تقاس بالآداب العربية، والخسارة فيها لا تذكر فى جانب الخسارة التى تصيب العرب والمسلمين إن غيرت الكتابة العربية.

ربما كان عام ١٩٤٤ هو العام الأكثر حديثًا والأحدّ نقاشًا حول الخط العربى والأبجدية اللاتينية. ففيه قدم عبد العزيز فهمى مقترحه إلى مجمع فؤاد الأول، وفيه كتب عزّام مقالاته التى نشرها عن الخط العربى مزاياه وعيوبه. والتى جاء فيها:

وقد فقه أسلافنا ضروب الدلالات، وأبانوا حاجة الناس إليها، واختلافها فى سدّ تلك الحاجة. قال أبو عثمان الجاحظ فى البيان والتبيين:

"وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال وتسمى النصبة". والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقتصر عن تلك الدلالات.

حاجة الإنسان إلى البيان، وحرصه على الخلود كانا سببًا لضروب الكتابة والنقش. وقد مرّ البشر بأطوار كثيرة تلائم إدراكه وحاجته حتى بلغ ما بلغ من عصرنا هذا.

وبعد مقدمة كتبها فى عدد من المقالات[1]. تحت عنوان: "الخط العربى مزاياه وعيوبه". نراه فى مقالة تحت نفس العنوان[2]. يقول: نتكلم بعد هذه المقدمة عن مزايا الخط العربى وعيوبه. ونقدم لمقصودنا المقدمات الآتية:

١ـ الكتابة المثلى هى التى يدل كل منها على صوت واحد دلالة واضحة؛ لا تدل بالحرف على أكثر من صوت، ولا تضع للصوت الواحد أكثر من حرف.

وإذا نظرنا إلى أكثر اللغات الأوروبية انتشارًا بيننا؛ الإنجليزية والفرنسية، رأينا عجبًا عجيبًا من التخالف بين ما يلفظ وما يكتب، وبين ما يكتب وما يقرأ؛ حتى ليتذكر القارئ ما يقال عن مُسئملى أبى عبيده أنه أن يسمع غير ما يُملى عليه، ويكتب غير ما يسمع، ويقرأ غير ما يكتب، ويكاد يتمثل بقول القائل:

أقول له زيدًا فيسمع خالدًا ويكتبه عَمرًا ويقرؤه بكرا

نرى حروفًا كثيرة تكتب ولا تلفظ. ولسنا بصدد الاستقصاء، فحسبنا التمثيل. فى الفرنسية، وهى أدق اللغات الأوروبية لفظًا وكتابة فيما يقال، يلفظ الحرف C يلفظ كالكاف أحيانًا وكالسين أحيانًا باختلاف ما يتلوه من حركة، والحرف S يلفظ كالسين أحيانًا وكالزاى أحيانًا. ومعنى هذا أن للحرف الواحد أصواتًا مختلفة، وللصوت الواحد حروفًا مختلفة بهنَة؛ وتختل القاعدة فى نطق S.C أحيانًا فيضعون علامة لتلفظ C كالسين، فإذا قلت Lecon, Francais، أى درس فرنسى لزم أن تعلّم C بهنَة صغيرة ليدل على الصوت المطلوب وتقول Il donne أى يعطى فتكتبها على هذه الصورة، وتقول أيضًا Ils donnent، أى هم يعطون فينبغى أن تكتبها كما ترى..إلخ. فاللفظ واحد والمبنى مختلف والرسم مختلف.

---

(١) الثقافة، ٢٧٥ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، شهر إبريل ومايو ١٩٤٤.

(٢) الثقافة، ٢٥ إبريل ١٩٤٤.

وأما الإنجليزية فقد بلغ فيها الاختلاف بين اللفظ والرسم أن معاجمها ترسم الكلمة كما ترسم اصطلاحها، وترسمها بين قوسين كما تلفظ. وحسبى أن أذكر كلمة neighbour أى جار، daughter أى بنت. ومثل هذا كثير.

بل تكتب أحيانًا حروف بعينها تقرأ على وجهين تبعًا للمعنى مثل: Read, read إن كانت مضارعًا لفظت بكسرة صريحة ممتدة، إن كانت ماضيًا لفظت بكثرة ممالة قصيرة.

من أجل هذا يُعلَّم أولادنا الإنجليزية فى المدارس على أن يحفظوا هجاء كل لفظ معه. وليس الأمر كذلك فى الهجاء العربى، فأنت تملى الكلمة لا يفهمها السامع، فيكتبها كما تملى. وقل أن يخطئ فيما عدا مواضع الأشكال من الهمزات ونحوها. وكثيرًا ما أمليت على طلاب الجامعة نصوصًا فارسية وتركية فأصابوا فى الكتابة وهم لا يعرفون الكلمات ..

ومع هذا سمعنا استنكارًا كثيرًا للألف التى ترسم بعد واو الجماعة ونزاعًا فى واو عمرو، ويضرب على ذلك أمثلة سأذكرها عند ذكر المقال كاملاً فى آخر هذا الكتاب كمثال كامل فيما كتبه عزّام.

٢ ـ ثم الناس لا يقرأون الكلمات حرفًا حرفًا، ولكن يقرأون صورة مركبة، وقد يقرأ الإنسان الكلمة مرات ولا يبصر ما فيها من غلط، لأنه لا يمر على الحروف واحدًا بعد آخر ولكن ينظر إلى الصورة، فإذا وجد الصورة التى اعتاد رؤيتها أو قريبًا منها فهم ما وراءها. وقد أمكن رصد البصر أثناء القراءة فإذا هو لا يسير سيرًا متصلاً متلائمًا، بل يثب بين الكلمات وثبات، ويقف وقفات تختلف باختلاف الكلمات. فالدلالة على الألفاظ فى جملتها بصور لا بحروف؛ ولو كتبت لانجليزى nabar بهذا الشكل ما فهمها، فإذا رسمتها على الشكل الذى لا يدل عليها لم يتردد فى فهمها.

٣ـ فالمثل الذى يُطمع فيه هو أن يكون للكتابة اصطلاحات معروفة محددة سواء أدت على ألفاظها بالجملة أو بالتفصيل. ولا بأس بالاصطلاح على حروف

تزداد فى الكتابة وليست ملفوظة، أن تنقص منها وهى ملفوظة، أن دعا إلى هذا تطور الكتابة أو تيسير القراءة أحيانًا أو دلالة على أصل الكلمة.

٤ ـ هذا هو الحد الذى لا تؤدى الكتابة مقاصدها دونه؛ ومن وراء هذا مزايا منها اليسر والوضوح والجمال والاختصار أو الاقتصاد، وهى مزايا تتفاوت فيها الخطوط.

وينتهى بعد هذا الحديث عن الخط العربى وما فيه من محاسن وعيوب، فيذكر أن الخط العربى فى صدر الإسلام كالخطوط السامية الأخرى كان غُفلاً من الإعجام والحركات، ثم أعجمه المسلمون ففرّقوا بين الحروف المتشابهة بالنَقْط ثم احتاجوا إلى ضبط حركات الحروف فوضعوا الشكل، ثم يقول:

غير أنى أقول إن الذى وضع الشكل العربى، الرجل المخترع المبتكر، الخليل بن أحمد، أخذ بعض الحروف فدل بها على الحركات كما فعل اليونان حين أخذوا الخط من الساميين.

فدل على الفتحة بألف فوق الحرف، وعلى الكسرة بياء تحته، وعلى الضمة بواو أمامه ولم يدخل هذه الحركات فى ثنايا الكلمات. فهل أحسن بهذا أم أساء؟!

أكان يسرنا أن الخليل جعل الحروف والحركات سواء كما يفعل فى اللغات الأوربية؛ أحسب ـ والعلم عند الله ـ أن الخليل قد شعر فى هذا بما شعر به مخترع الحروف السامية. وما فعل كُتّاب اللغات الساميات من قبل شعرُ هؤلاء كلهم أن اللغات السامية لغات ثلاثية الأصول، تفرق بين الأصل والزائد تفريقًا بيّنا؛ وهى كاملة الاشتقاق، نضع للمعنى حروفًا ثلاثة ثم تخلق فروع هذا المعنى من حركات هذه الحروف وسكناتها، وهذا التعبير فى الحركات والسكنات لتشقيق الألفاظ الكثيرة لا يعرف فى اللغات الأخرى التى نعرفها، سواء عدت من اللغات المشتقة كالفرنسية و الفارسية، أم عدت مركبة كاللغة التركية.

ففى الفرنسية نجد مادة مثل : donn ثابتة فى التصريف.

فنقول: فى المصدر Donner، وفى المضارع Je donne أى أعطى، وفى الماضى J'aidanne أى أعطيت، وفى المستقبل Je Dounerai ،وفى المفعول donne.

وكذلك فى الفارسية. فإذا أخذ المصدر المخفف (أو المرخم) داد من المصدر(الأصلى) دادن أى الإعطاء، فهذا أصل لتصريف الماضى والمستقبل، فإذا أخذت المادة (دِه) فهى أصل بقية الصيغ.

والتركية وأخواتها أبين فى ثبات المادة على التصريف، وعلى صروف الزمان، فالمادة ياز من المصدر يازمق، أى أن يكتب أو الكتابة لا تتغير ولا يسبقها شىء فى الصيغ التى تصاغ منها.

فالمواد فى هذه اللغات ثابتة أو كالثابتة لا يتغير صورها بكتابة الحركات أحسَب الساميين من أجل المحافظة على هذا الأصل والتمييز بينه وبين الحركات. رسموا حروف الكلمة دون حركاتها.

ومن أجل هذا كتب علماء اللغة فى المعاجم مادة الكلمة حروفًا مفردة ؛ لأنها لا يمكن أن تركب بغير حركة لو أنهم كتبوا الحركات أثناء الكلمة لاختلفت صور المادة الواحدة اختلافًا كثيرًا، مثل: كاتابا، كوتبا، كيتابان، كوتوبون (كتب)..

وقد أحسن الخليل واضع المعاجم العربية وواضع العروض العربى، حين رسم الحركات خارج الكلمات. وقد أحسن الخليل حين أبقى كتابتنا مختصرة توفر على الكاتب وقته وتكاد تمكن الكاتب من مسايرة اللسان الناطق، وتيسر الخطّ لمن يشاء. وأبرأ لغتنا من الاضطراب والتناقض اللذين يدركهما من يمارس اللغات الأوروبية.

أخذ الفرس الحروف العربية ورسموا بها لغتهم وما دخلها من ألفاظ عربية. فوجدوا أن أصواتًا عندهم ليس لها دلائل فى الحروف العربية، فكتبوها بأقرب

الحروف إليها، ثم ميّزوها بالنقط والخط فزادوا على صور العربية ب جـ ز كَك، أى الياء المثلثة والجيم المثلثة والزاى المثلثة (أى الذى يوضع لها ثلاث نقاط) والكاف ذات الشرطتين، ثم كتبت بعض اللغات الهندية بالحروف العربية، فأخذت الحروف الفارسية وزيد عليها من الصور ما يلائمها.

فالأردية مثلاً فرقت بين صورتين فى التاء والدال والراء فجعلت علامة لتميز أحد الصوتين من الثانى؟ وجعلوا الياء الراجعة، وهى التى ترسم مدّتها إلى الخلف، علامة الإمالة الفرس يسمونها الياء المجهولة.

ولما كتب الترك بالحروف العربية، الترك أقوام كثيرون لهم لهجات مختلفة متباعدة الأقطار، زادوا على هذه الحروف ما زاده الفرس ، واختلفت طرائقهم فى رسم الحركات أثناء الكلمة؛ ولكن كان الاتجاه العام إلى كتابة علامات الحركة أثناء الكلمة فى مواضع كثيرة وسبب هذا فيما أظن، قوة الحركة وأثرها فى اللغات التركية خاصة، واللغات التى تشاركها فى الأصل عامة، وهى اللغات التى تسمى اللغات الأورالية الالطائية.

وفى هذه اللغات قاعدة الانسجام، وما يعبر عنه الفرس والترك بكلمة أهنكَك (آهنّك) ويسميه الفرنسيون haromonie هذه القاعدة تقضى أن الكلمة إذا بدئت بحركة ثقيلة أو خفيفة اطّرد الثقل أو الخفّة فى حركاتها وحركات لواحقها ...

وثقلت أو خفت الحروف التى تحتمل الترقيق والتفخيم تبعًا لها. فلم يكن غريبًا أن يحس الترك بخطر الحركة فى لغتهم ويرسموها. ولكن قواعد الرسم لم تطرد عندهم. فنجد فى الكتب القديمة مثل ديوان سلطان ولدا بن مولانا جلال الدين الرومى، وهو أول ناظم بالتركية الغربية: كَنُش (الشمس) وبَقمَز (لا ينظر)، نجدها فى الكتب المتأخرة كَونَش وبقماز، ثم باقماز.

ثم رسم الترك، قبل هجر الحروف العربية بسنين قليلة، الحركات كلها أثناء الكلمة إلا ما يحتاج إلى بيان كحركات الضمائر. فكتبوا ته ميز (نظيف) آرقاداش (رفيق).

ويختم مقاله بقوله:

والحق أن الترك حين تركوا الحروف العربية واتخذوا الحروف اللاتينية لم يكونوا مدفوعين كما دفعوا بالثورة على كل قديم، والغرام بالانقطاع عن أقوام والاتصال بآخرين.

ولو كان الأمر إصلاحًا فقط لوجدوا فى الطريقة التى انتهوا إليها إصلاحًا. ولو لم يكن ففى الأمر إيثارًا للحروف اللاتينية لأنها لاتينية لفكروا فى اتخاذ الخط الروسى مثلاً وهو أقرب إلى لغتهم، فى ظنى، وقد كتبت به بعض اللهجات التركية من قبل[1] كما كتب بعضها باليونانية والأرمينية. ثم أكمل حديثه عن هذا الموضوع فى مقال آخر[2].

ويدافع فى هذا المقال عن إيثار الشكل على حروف الحركة. ويقول: إن إهمالنا الشكل ليس عيبًا فى الشكل. ولو أنّا حرصنا عليه وجربنا فيه على اصطلاح أصح لتيسر لنا وضبطنا به لغتنا.

ولكننا فى شكل كتابتنا بين إفراط وتفريط فنجد كثيرًا من المخطوطات والمطبوعات الدينية والأدبية مشكولة شكلاً تامّا. لا يخلو حرف فيه من شكلة. ونجد مخطوطات أخرى ومطبوعات لا شكل فيها أو يندر فيها الشكل.فأما إهمال الشكل فيؤدى إلى الغلط والتحريف واللبس؛ وأما الشكل التام ففيه عبث، وفيه تحميل الكلمة من الشكل ما يزدحم عليها فيغلّط القارئ ويتبعه.. أليس عبثًا أن تضع فتحة على حرف بعده ألف مثلاً؟! أليس عبثًا وضع شكلة على حرف فى كلمة مثل: قالوا وباعوا، أو شكل ضمير مثل: أنت وأنتما وأنتم، أو شكل واو العطف والحرف فى وأمثالها؟!

ثم ينبغى ألا ننسى خصائص لغتنا، وأن نلغى الشكل الذى تغنينا عنه الخصائص. اللغة العربية لغة أوزان.. لأفعالها ولأسمائها أوزان متعددة.

---

(١) يقصد التركية الأذرية والأوزبكية.

(١) الثقافة، ٢ إبريل ١٩٤٤.

إن الخط إذا جَعل لكل صورة من الحروف لفظًا واحدًا حسبة هذا، و إن لم يدل كل حرف على صوت فى كلمة كما هو واضح فى رسم الكتابة الفرنسية والإنجليزية. ما الذى يدعو إلى شكل اسم المفعول من الثلاثى؟ وهل يلتبس على قارئ العربية النطق بمحمود ومقصود ومطلوب ونحوها.

ومثل آخر مصدر ما زاد على الثلاثة مثل التفعيل والاستفعال؟ فإذا رأى القارئ ألفاظًا مثل: تكريم وتعليم وتقويم، مثل: استفهام واستخراج واستكبار. أيتردد فى تحديد لفظها؟ أليست هذه أولى على النطق من laugh, neighbor, night وأمثالها؟

فماذا لانستغنى بأوزاننا عن الشكل؟ وإذا شئنا الاصطلاح على أمر من أمور غير هذا لنقلل الشكل بلا حرج.

أى أن عزّام لا يرى غضاضة من إجراء إصلاحات للتيسير، ويقدم حلولاً لهذا التيسير كما يقول:

وصدق ما سمعت من أحد الباحثين؛ تجربتى أن الفتحة أكثر حركات العربية. وقد تتوالى عشر فتحات أو أكثر كما فى الآية: [1] **﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾**[2] والآية: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه﴾**[3].

فإذا اصطلحنا على أن نشكل كلماتنا وندع الحرف المفتوح فتكون علامته سلبية، كما ترك الأوربيون علامة السكون، استغنينا عن شكل نصف حروفنا واتسعت الكلمات للشكلات الأخرى.

فإذا حسبنا مع هذا حروف المد وهى كثيرة فى العربية ومغنية عن الشكل. (وقد خلت الحروف اللاتينية من حروف المد) ولم ننس خصائص لغتنا؛ هان الأمر جدّا نستطيع أن تكتب مثلاً:

---

(١) النازعات / ٢٣.

(٢) يس/ ٧٨.

(٣) يس/ ٧٨.

﴿عسى أن يبْعثك ربُّكَ مقامًا محمودًا﴾ [1] فلا نشكل إلا أربعة حروف ولا يحتمل حرف منها وجهًا آخر. وكذلك ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقضَ ظهركْ ورفعنا لك ذكرك﴾ [2]. نشكل فيها اثنى عشر حرفًا فقط.

ولست أريد بهذا وضع خطة معينة، ولكن أريد التمثيل ليتبين أن الأمر لا عناء فيه إن صدقت النية. فقد وضع عزّام قاعدتين أثناء نشر الشاهنامة:

الحرف الساكن أو الممدود لا يشكل، والمفتوح أول الكلمة كذلك. وطبق ذلك أثناء ضبط الأعلام العجمية، فاستغنى عن شكل مثل: جمشيد، وأفريدون، وكيكاؤوس.

إذا بلغ الخط العربى بهذه الوسائل ونحوها أن يحدد ألفاظه تحديدًا تامّا، فهل هذا أحسن من رسم الحركات أثناء الكلمة؟ نعم!

هل الخط العربى بعد هذا واضح؟ هل حروفه على صغرها أبين فى نظر القارئ من الحروف اللاتينية؟ إنى أتهم رأيى فى هذا: لأنى ألِفت الخط العربى فلا أُدرك غموضه، ولأنى أخشى أثر العصبية فى نفسى.

قد سألت المستشرقين وهم لا يتهمون بعصبية، ولا بألف. قال مستشرق ألمانى واسع العلم بالعربية والفارسية والتركية: ما أذكر أنى عجزت عن قراءة مكتوب عربى أرسل إلىّ، وقد أعجز أنا وزملائى عن قراءة مكتوب ألمانى.

وقال هذا المستشرق وكان فى مصر هذه المرة. وكانت السابقة فى اسطنبول، وكان هذه المرة فى حضور مستشرق آخر نابغة: هل للخط مزايا أعظم من الوضوح والجمال والاختصار؟

إن الخط العربى يجمع هذه المزايا كلها، بل يكاد ينفرد بها. قلت: ولكن يلتبس أحيانًا على القارئ. قال: أشكل وأمّن نفسك من اللبس.

---

(١) الإسراء / ٧٩.

(٢) الشرح/ ١ـ ٤.

وأمر آخر: سمعت من طبيب تركى عظيم من أطباء العيون، قال: إن الخط العربى أكثر ملائمة للعين وإراحة بها من الخط اللاتينى. فعجبت وقلت: كيف؟ قال: لكثرة الزوايا فى الحروف اللاتينية. وأنا أزيد على هذا أن اختصار الخط العربى لم يحوجنا إلى تصغير حروفه كما أحوج الأوربيين خطهم الطويل، وكثيرًا ما يقرأ أحدنا خطًا فى غير إجهاد لنظره، فإذا أخذنا إفرنجيا تعب بصره فاستعان بالمنظار أو عجز عن القراءة.

نحن لاندعى أن خطنا كامل ليس فيه موضع لليت ولعل؛ ولكن ندعى أنه على علاته كخطوط الأمم أو خير منها، وأن إصلاحه يسير، وكماله قريب.

وبعد، فلو أننا نعيش فى القرن الأول الهجرى، لحق لنا أن نقيس خطًا بخط لنختار ما نختار؛ ولكننا نتكلم فى خط نسج فى حضارتنا أربعة عشر قرنًا أو أكثر وصار لنا تاريخًا وأدبًا وصنعة؛ وحوى تاريخنا وأدبنا ومعارفنا، فإن غيرنا خطنا وأخذنا خطًا آخر فقد قطعنا حاضرنا من ماضينا، وسدلنا الحجب بيننا وبين آدابنا وعلومنا التى تملأ الخزائن فى الشرق و الغرب، ومحونا جمالاً نحسد عليه، وفنًا يضىء فى عيوننا وقلوبنا كلما رأيناه فى مصاحفنا ومساجدنا وقصورنا.

وإن كان منا من يرى تاريخنا عارًا وماضينا سبّة، ويرى الخير أن نقطع ما يصلنا بهذا التاريخ، ونستعير تاريخًا أو نعيش بغير تاريخ، فله أن يدعو إلى نبذ خطنا فيما ننبذ من تراث الإعصار والأجيال.

لقد سألت صبيًا تركيًا فى مدينة بروسه قبل ست سنوات، وأنا أتامل الجمال والجلال فى القبة الخضراء قبة السلطان محمد جلى، قلت: يا غلام أتقرأ هذا؟ وأشرت إلى جملة جميلة وضاءة وضاحة على جدار؟ فقال: اسكى تركجه بيلميورم، أى لا أعرف التركية القديمة..

إننا نقرأ اليوم مكتوبات القرن الأول الهجرى، وندّخر مخطوطات القرن الرابع فيما بعده، ونقرؤها فى غير عسر وننشرها، وهى ميزة يحسدنا عليها أمم الحضارات الكبرى، كما نفهم لغة العرب قبل الإسلام، ونتمثل بشعر امرئ القيس مع شعر شوقى.

لهذا توالت علينا النصائح: دعوا اللغة القديمة واكتبوا بالخط اللاتينى كيلا تضلوا. أشهد لقد سألت مستشرقًا إنجليزيًا منذ سنين عن كتابة الفارسية بالحروف اللاتينية. فقال: يمكن ولا يلزم؛ ثم سألته عن كتابة العربية بهذه الحروف. فقال: أرى أن اللغة العربية والقرآن والحديث والخط العربى بناء واحد، إذا هدمت جانبًا منه، انهدم كله ـ أو كما قال ـ !

وأشهد لقد سمعت مستشرقًا آخر يقول: إن كتبت اللغة العربية بالحروف اللاتينية صارت كاللغة المالطية بعد جيلين. ثم، هذا الخط العربى ليس لنا وحدنا، فهو تراث عزيز عند أمم كثيرة. وأشهد مرة أخرى لقد سمعت مستشرقًا يقول:

"إن هذه دعوة قديمة، ولو سمعناها من إنجليزى أو فرنسى لقلنا: إن له مقاصد استعمارية، ولكننا سمعناها فى مصر فماذا نقول"؟!.

يتضح مما سبق أن ما أثير حول اللغة العربية والحرف العربى وضرورة إصلاح الخط العربى وتيسيره أو التخلى عنه وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وهو ما أثير من قبل هذا عند الفرس وعند الترك، وما نادى به عبد العزيز فهمى حين قال: "وفى قرار لوزير المعارف: أن عليه (أى المجمع) أن يبحث أمر تيسير هذه الكتابة تيسيرًا يقى ألسنة قرائها من اللحن والخطأ، فواجب المجمع فى هذا الصدد معين بالنصوص الصريحة. وأنا من ضمن أعضاء لجنة الأصول المكلفة بتأدية هذا الواجب ضمن ما أقوم عليها من التكليفات. واجبى إذن بيّن. هو المحافظة على الفصحى وجعل قارئ ما هو مكتوب بها لا يلحن فى قراءته ولا يخطئ..

وإذا قبلت عضوية المجمع فإما أن أؤدى هذا الواجب بحسب ما أراه، وإما أن أفارق. ولا سبيل فى رأيى لتأدية حق التأدية إلا باتخاذ الحروف اللاتينية وفيها حروف الحركات، لا إطلاقًا على وجه خاص رأيته" [1].

لم يكن هذا كله جديدًا على عزّام، الذى تابعه فى الفارسية والتركية، ثم فى العربية، وكتب عنه منذ عام ١٩٣٥م.

لهذا كان اهتمامى فى هذا الكتاب بهذه القضية وحديثى المفصل عنها.

---

(١) عبد العزيز فهمى ـ المقدمة جـ ـ د.